كانج كيونج آي

رواية

ملح

ترجمة
محمد جلال (كيهون كيم)
كاهو كيم (جنة)



مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب



كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما امكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج اكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين ايديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

مــــلح

روايـــــة: كانج كيونج آي

ترجمة:

محمد جلال (كيهون كينج)

جــــنة (كاهو كيم)

محمد جلال (كيهون كيم)، مترجم مصري، التحق بقسم اللغة الكورية بكلية الألسن جامعة عين شمس عام 2007، يعمل مديرا للمشروعات بـ "مركز عربي" في كوريا الجنوبية.

كاهو كيم (جنة)، مترجمة كورية، حصلت على الشهادة الجامعية من جامعة هانكوك للدراسات الأجنبية عام 2015، وتعمل مترجمة في المجالات القانونية والطبية ومجال حقوق الإنسان.

☆ ☆ ☆ ☆

إهداء المترجم:

أمي وأبي، الأستاذ أوه سي جونغ والأستاذة كيم جو هي، سامي وعلا وريم ولبنى والدفعة، الحديني وزيزو وكل فريق 1980 وانت طالع، ليث ورشيد وكل المركز، أخي كانج جيو وأختي لي يورا، ناظم وعماد وغزل..

وطبعا كاهو جنة..

دار صفصافة للنشر..

وأخيرا...

ضربة البداية التي لا تنسى.. التكييف..

جلال

☆ ☆ ☆ ☆

إهداء المترجمة

إلى أبي أمي أخي وزوجته وولديه، أسرتي الغالية.

دونغيون أوكيونغ جونغوون، لمى والأستاذ لي إن سوب وجلال.

راشد فادي سادو سوجين، على بالي مهما بعدت المسافات.

تشيريم سارانج هيونجونغ يونجي جيونغ جيهيون.

ريم لبنى رشا، غزل وعماد، غالي، المملكة الرباعية جيمين وإنجي وسوهيون.

شكرا لكم جميعا، فأنا بكم أكون.

شكرا لكل من شجعني وساعدني، وشكري الخاص للرب.

جنة..



آسرة من الفلاحين

بعد أخبار قدوم بانغ دونج -مالك أراض صيني- من مدينة لونغ جينغ أنزل الزوج الدروماجي القطني الذي كان يحتفظً به معلقًا على الحائط ولبسه وخرج من الباب، أما أم بونغ شيك فلم تستطع كبح قلقها ولهذا فتحت الباب وظلت تنظر بشرود إلى زوجها الذي خرج متعجلًا. هل حقًّا جاء بانغ دونج؟ أم أن جماعة (جا x) هم من أشاعوا أخبار مجيء بانغ دونج كذبًا ليتحصلوا على بعض النقود وبالتالي أخذوا زوجي؟ كانت تهم بالبكاء بينما يدور ذلك في عقلها. ولكن أمام ضغطهم المزعج الذي تعرض له كل يوم فقد كان الزوج -الذي لا يستطيع أن يتلفظ بكلمة استياء واحدة بينما يحاول منهكًا- يبدو مسكينًا ومثيرًا للشفقة. إنه في طريقه الآن لمثل هذا الشقاء! قالت هكذا متنهدة: «إن معاناة أمثالي أنا وغيري من المعدمين لن تنقشع إلا بموتنا، أهناك أي حيلة؟ لا حل إلا الموت» وتنهدت بحسرة شديدة. ثم أدركت أنها كانت تخدش الجدار بأظافرها وهي شاردة. نظرت مدة طويلة إلى أظافرها، التي طالت بطريقة بشعة لا يحبذ النظر لها، متمتمة أنه على الرغم من سهولة إنهاء حياة الإنسان إلا أنه من الصعب فعل ذلك.

الكلمات تعجز عن وصف آلام نفوسهم عندما يخرجون من مسقط رأسهم ومعهم بعض الأوعية المصنوعة من ثمار الكالاباش كأنهم يدخلون طريق الموت باتجاه البحر الفسيح الذي لا حدود له. ومع ذلك، وسط هذه المعاناة، انبثق بصيص الأمل عندما وصلوا هنا وحصلوا على أرض أحد الصينيين وعملوا على زراعتها. ولكنهم عانوا الأمرين يوميًّا تحت وطأة التهديد الواقع عليهم من الجيش الصيني الذي يسمى جماعة (بو وي) لتستمر حياتهم هكذا قاضين يومًا بعد يوم فقط لأنهم لا يستطيعون الموت. فهم، وبمجرد استيقاظهم من النوم يقلبون وجوههم في السماء ويتضرعون ليقضوا يومهم دون كوارث.

فجماعة (بو وي) لا يكفيهم العيش بالرواتب التي يحصلون عليها لذلك بدءوا بالتجول في الأرياف وسلب الأموال مرة أو مرتين، والآن اعتادوا الأمر فاستباحوا تهديد الفلاحين وسلب أموالهم في وضح النهار بلا تردد.

وأدرك الفلاحون أن حيواتهم ستكون معرضة للخطر إذا لم يقوموا بتجهيز نصيب جماعة (بو وي) من أموال وما عداها كالأرز وغيره فأضحوا يجهزونه حتى وإن توقفت حيواتهم. وبعد تلك الفترة بزغ نجم الحزب الشيوعي وعلى إثر ذلك تجمع ملاك الأراضي وجماعة (بو وي) في المدن خوفًا من الحزب، وحتى مع قيامهم أحيانًا بدوريات على الأرياف فلم يجرؤوا أبدًا على دخول المناطق التي يتواجد فيها، ولكن مع تغير أوضاع البلاد وطرد الحزب الشيوعي منها بدأ ظهور جماعة (جا x).

وبينما تتأمل الزوجة أظافرها فكرت في المرات التي كادت تلقى فيها حتفها على يد جماعة (بو وي)، وجال بخاطرها أن حفاظها على نفسها حية حتى الآن يعد معجزة في حد ذاتها، وعندما حاولت البحث عن زوجها كان بالفعل قد توارى عن الأنظار. وفكرت وهي شاردة في العلم الذي يرفرف فوق الجدار الترابي أن زوجها الآن ربما يكون قد عبر للقرية التي في الضفة الأخرى، وعاد القلق الذي ما كادت أن تنساه حتى تصاعد ليجثم على قلبها مرة أخرى. فحسب ما سمعت من زوجي أنه قد سدد كل ما تريده جماعة (جا x) فربما بانغ دونج قد جاء حقًّا، فالآن حان وقت بذر البذور لذا فمن المرجح أنه قد جاء بالفعل، وعليه لن يتمكن بونغ شيك من رؤية بانغ دونج اليوم، وبالتالي لن يستطيع الحصول على أقواتنا عندما نباشر مهام الزراعة، وأخذت تتأمل الجدار الترابي مرة أخرى. لقد كلف هذا الجدار زوجي والفلاحين الآخرين ما يقرب من العام لبنائه. إنه مثل القلعة التي كنت أراها في مسقط رأسي. لقد كانت كلما رأت ذلك الجدار تتذكر فجأة ما حدث في تلك الليلة التي كانت قبل أربع أو خمس سنوات. ففي منتصف تلك الليلة تصاعد الضجيج المختلط بصرخات الناس مع صوت إطلاق النيران من جميع الاتجاهات. لذا دخل الجميع فجأة مخبأ كان قد حفر سرًّا أمام الموقد وعندما خرجوا منه بعد أيام وجدوا أن بانغ دونج قد هرب وبعض من باقي أفراد العائلة قد ماتوا بطريقة وحشية. بعدها اشترى بانغ دونغ بيتًا في مدينة لونغ جينغ وتزوج وأنجب لذا يعيش الآن بلا اختلاف عن الماضي.

وبعد مطاردة بانغ دونج وهروبه إلى مدينة لونغ جينغ أصبح ذلك البيت ملك لجماعة (جا x) ومن ساعتها والراية مرفوعة والحارس واقف أمام الباب هكذا.

حركت عينيها ناظرة أمامها. كانت أشعة الشمس تملأ الحقل الواسع، وأسراب من الطيور التي تشبه قشور نبتة الدخن تحلق بقوة لتعبر تلك السماء الزرقاء، وتساءلت متى يأتي الوقت الذي نحصل فيه على هذه الأرض؟ ثم وبلا وعي تنهدت بحسرة شديدة. إنه وعلى الأقل بعد حوالي عشر سنوات من مجيئي لمنطقة كان دوو، ها أنا أنظر لذاك الجبل الأحمر الذي يمكن أن أطلق عليه أرضي؛ وأحصل على حصتي من زراعته. لقد كان هذا الجبل وعرًا جدًّا، ولكن بعد أن حرق أحد ما هذا الجبل قاموا بتجريفه كلما سنح الوقت لهم حتى أصبح الآن حقلًا، لكن لا يزال من الصعب زراعة الحبوب فيه بشكل كامل، لذا زرعت البطاطا فقط كل سنة.

أأزرع نبتة الدخن هناك وفي حافة الحقل أزرع قليلًا من الذرة الرفيعة هذا العام؟ وفجأة ودون مقدمات خطرت في بالها صورة مسقط رأسها. حقلها المجاور لحقل الصنوبر الصغير الذي كان بقدر ما يلامس الركبة! كيف لي أن أنسى هذا الحقل قبل الممات!؟ هذا الحقل الذي نما فيه كل ما زرع جيدًا!

«عليه اللعنة!».

تمتمت هكذا وهي تستحضر صورة تشام بونغ العجوز الذي يظهر على رأس الحقل وهو يعض على غليونه.

وعندما أدركت أن قلبها يخفق بسرعة والرعشة تسري في أطرافها فركت عينيها بشدة لتكف عن التفكير في مسقط رأسها واستعادت انتباهها مرة أخرى، وعندها وجدت نفسها تستمع شاردة لعصافير تزقزق عاليًا بين أعواد القش المتراكم في أحد أركان الفناء، وسرعان ما استدارت، فرأت داخل غرفتها يعج بالفوضى كأن الأعمال التي يجب تأديتها ترفع يدها وتتصارع طالبة أن تكون أول الأعمال المنجزة. لذلك قامت متعجلة بكنس الغرفة بالمقشة، وبينما كانت تتحسس فراغات الحصيرة بأناملها قالت يجب أن تكون معيشتنا جيدة، يجب أن تكون معيشتنا جيدة بشكل نفخر به أمام تشام بونغ، واغرورقت عيناها بالدموع. إنهم مهما عزموا وفعلوا كل ما بوسعهم، فلسبب ما، لا يعود الأمر عليهم إلا باليأس والفقر. ثم كنست كل أرجاء الغرفة بينما كانت تدور في رأسها تساؤلات حول أي قدر ذلك، السماء لا تهتم بنا، فهي تعطي البركة للبعض وتكتب الشقاء على البعض الآخر.

كما رفعت إحدى حبات البطاطا التي كانت تتدحرج على الأرض حال كنسها بالمقشة ووضعتها في وعاء الكالاباش ثم رتبت أحد الأرفف. ففي معظم بيوت الفلاحين هنا يتصل المطبخ بالغرفة، وبأحد أركان الغرفة يعلقون قدر الأرز، وبجوارها ينصبون الأرفف. لذا عندما جاءت لهذا المكان للمرة الأولى كان أكثر ما لم يعجبها هو شكل الغرفة التي بدت لها كحظيرة خنازير أو زريبة أبقار. إضافة لهذا فهي أحيانًا لا تجد مكانًا لتجلس فيه بعيدًا عن أعين الضيوف عندما يأتون. لذلك كان لا مفر من جلوسها شاردة وجهًا لوجه أمام الغرباء منهم، ولكن مع مرور الوقت تدريجيًّا، حتى وإن كان ذاك الزائر رجلًا غريبًا، فهي لم تعد تشعر بذلك عكس ما كانت في بادئ الأمر. فهي قد اعتادت على الأمر ولا أكثر، وكان من اللازم حفر الحفرة السرية أمام الموقد، وكلما علا صوت إطلاق النيران أو أصوات عواء الكلاب، دخلت الأسرة كلها ذلك المخبأ ومكثت فيه بضعة أيام، وعادة ما أخفوا داخله الملابس والأطعمة وأخرجوا من بينها ما يحتاجونه للملبس والمأكل. بالطبع فعلوا هذا خوفًا من جماعة (بو وي) أو جماعة (ما جوك) وغيرهم.

بعد ترتيب الأرفف، بدأت تنقي اللوبياء المقرنة الموضوعة في سلة والتي لم يسمع بين أركان الغرفة الهادئة سوى صوت تصادمها، وبينما تنقل نظرها بين حبات اللوبياء حبة حبة، بدأ الإرهاق يتسلل إلى عينيها مما جعل صوت زقزقات العصافير يعلو في أذنيها، وفي الوقت نفسه تصارعت الأفكار في رأسها دون أي ترتيب كزقزقات تلك العصافير. كم كيلة من الأرز سنحتاج لإفطار وغداء

وعشاء الغد إذا قمنا ببذر البذور؛ لأن بونغ شيك لم يتمكن من رؤية بانغ دونج اليوم فلن يستطيع إحضار الأرز، ولكنه سيبيع الحطب ثم يشتري مستلزمات الأطباق الجانبية التي طلبت منه شراءها، وبدأت هذه الأفكار تتلاشى تدريجيًّا بينما يصارعها النعاس.

فركت عينيها لحظة خروجها من الباب، وعندها وقعت عيناها على الميجو المعلق على الحائط. "آه صحيح، يجب عليّ إخراج الميجو لتجفيفه". خطرت لها هذه الفكرة فأخرجت الوعاء وفصلت الميجو ثم رصته بشكل منظم خارج الباب. ثم أخذت المقشة وكنست الأتربة من على الميجو، وبينما تحمل كتل الميجو واحدة تلو الأخرى دار في رأسها أنه يمكنها استخلاص ثلاثة أو أربعة أوعية من صلصة الصويا كما يمكن تعبئة بلاص من شطة الكو تشو جانغ ...

الملح.. لعمل هذا، أحتاج تقريبًا كيلتين من الملح..

تنهدت بعمق دون وعي جلست شاردة مرة أخرى تستحضر صورة مسقط رأسها، فهناك لطالما غسلنا أسناننا بالملح... وفي استخلاص الشطة وغيرها أيضًا، فحفنة واحدة من الملح كانت تكفي لذلك. فربما مع عدم وجود كثير من الأشياء في مسقط رأسها لم يأخذ الملح نصيبًا من اهتمامها، ولكن على أي حال لم تكن مرة أو مرتين فقط عندما بكت خلسة دون أن يراها أحد بعدما جاءت لهذا المكان بسبب الملح. فكيلة واحدة من الملح يبلغ ثمنها وونين وعشرين جونًا! لذلك في بيوت الفلاحين لا يستطيعون شراء كيلة دفعة واحدة من الملح. فقط اشترت صاعًا أو صاعين ولم تتعد أبدًا أربعة أو خمسة صاعات كحد أقصى، وعلى هذا لم تستطع تعبئة أي نوع من الصلصة أو الشطة بدفعة واحدة، لذا كانت كلما وجدت الملح صنعت إياهما، وأحيانًا كانوا يأكلون الميجو المخمر على أنه الصلصة أو الشطة، ولهذا كانت كل الأطباق الجانبية غير مالحة بسبب نقص الملح في كل من الصلصة والشطة.

ومع كل وجبة طعام كانت تتفحص وجه زوجها ولسبب ما تشعر حياله بالأسف، فالزوج لم يتفوه بهذا ولكن دائمًا ما ظهرت التعابير العابسة على وجهه وأحيانًا كانت سرعة الملعقة تتباطأ تدريجيًّا حتى يضعها في فتور شديد، وكلما رأت ذلك شعرت أن حبات الأرز التي في فمها تتحول إلى حصى، لذا كانت تضع الملعقة بهدوء ثم تستدير جالسة تؤنب نفسها متسائلة عن صحة اعتبار نفسها زوجة في حين أنها لا تستطيع إعداد طبق من الشوربة ليشربه زوجها بدفء يجعل قطرات العرق تخرج من ظهره بعد يوم طويل من العمل!!

وأحيانًا لكي يحفز الزوج شهيته كان يضع في فمه ملعقة مليئة بمسحوق الفلفل الحريف، وحيث إنها حارة جدًّا فقد كانت عيناه تحمران وتتجمع قطرات العرق لتبدو كأنها قبضة على ناصيته. لذا كلما فتحت فمها لتسأله «لماذا تأكل هذا

المسحوق هكذا؟» شعرت بغصة في قلبها فتغلق فمها مرة أخرى وتبقى صامتة متسائلة في حيرة عن أفضل ما يمكنها عمله بصفتها المسؤولة عن إعداد الطعام.

تنهدت من أعماق جوفها بينما تتصارع في رأسها كل هذه الأفكار وانحنت ناظرة للميجو متسائلة عن أي طبق ستقوم بإعداده اليوم، وعندها علا صوت وقع أقدام فرفعت رأسها. حينها رأت بونغ يووم، التي كانت قد ذهبت للمدرسة، عائدة تحمل بؤجة بها كتب.

«لماذا أحضرت بؤجة الكتب هذه؟».

«إنه السبت يا أمي! يوم الانصراف المبكر. إنك أخرجت الميجو!».

قالت بونغ يووم هكذا ثم حملت الميجو واستنشقت رائحته والابتسامة تملأ وجهها.

«هل رأيت أباك وهو ذاهب؟».

«نعم يا أمي، لقد جاء بانغ دونج جونغ».

«بانغ دونج؟ جاء؟».

شعرت أن القلق كان يجثم على صدرها حتى هذه اللحظة فتنهدت في ارتياح.

«أين رأيته؟».

«في بيت بانغ دونج .... أبي يجلس مع جماعة (جا x)، ولكن لا أعرف ما الذي يفعلونه».

ومع رؤية بونغ يووم مقطبة ما بين عينيها شعرت الأم بالقلق ينتقل إليها!

«هل كان بانغ دونج يجلس معهم؟».

أومأت بونغ يووم برأسها بالإيجاب وشردت بفكرها قليلًا ثم علت الابتسامة وجهها، وأخرجت بعض الثوماوات من بؤجتها.

«كم هي كثيرة الثوماوات التي في الحديقة الخلفية بالمدرسة!».

«إنها كافية لوجبة واحدة».

وتحسست الثوماوات في فخر ببنتها واختارت الأكبر من بينها وقصت الجذر ثم أزالت القشرة وأكلتها. ثم قالت بونغ يووم وهي تأكل الثوماوات.

«أمي، لو أنني لبست حذاء رياضيًّا.......».

قالت هذا دون تفكير ثم قامت بإنزال عينيها إلى جذور الثوماوات حيث توقعت أن توبخها أمها.

وبين تلك الجذور تراءى لها الحذاء، كانت يونغ آي تشبه العصفور وهي تلبس الحذاء وتتطاير به.

«تلك البنت أحيانًا تكرر هذه الأفعال المجنونة».

ثم دعكت أنفها مرتين تقريبًا ونظرت لها شزرًا، بينما كانت كل الثوماوات تتراءى لبونغ يووم كأنها تتحول لشكل الحذاء، جعلها كلام أمها تشعر بوخزة في قلبها الصغير.

«أمي هي التي لا تفعل سوى هذا الجنون ليل نهار».

تمتمت هكذا بعد برهة من الزمن، وشعرت أن الغيرة من حذاء يونغ آي الذي كانت قد رأته وتحسسته سرًّا تتحول إلى استياء، وأما الأم فنظرت باتجاه بونغ يووم.

«حسنًا، أليس كلامك هو الجنون حقًّا؟ إننا نعاني الكثير من الصعوبات في أن نجعلك فقط تدرسين بينما أنت تلحين.... الحذاء... الحذاء. أنت.. أنت.. إنك يجب أن تعلمي أنك ما بدأت الدراسة إلا بفضل ولادتك في عصر بوادر الانفتاح. فنحن نشأنا لا نعرف غير جلب الماء من البئر وغزل الأقمشة وفي الصيف كنا نقوم باقتلاع الحشائش ومع هذا كنا لا نستطيع أن نلبس نعال القش الناعمة. إنني وأبوك نكد في الزراعة وقصصنا شعرنا بأقصر ما يكون هكذا ومع ذلك أنت لا تدركين هذا، فقط الحذاء، الحذاء. فلتعرفي أنه من حسن الحظ أنك لست جائعة، وإذا كنت ستستمرين في هذا الهراء فلا تذهبي للمدرسة!».

«وهل أنت يا أمي من ترسلينني للمدرسة؟».

عبرت بونغ يووم عن عصيانها رغم شعرة الخوف التي سرت باردة في قلبها. ثم طرفت بعينيها إثر ذلك اللهيب الذي خرج من خدها.

«وهل تعتقدين أنني لن أستطيع جعلك تتركين المدرسة فقط لأن أباك هو من يرسلك لها؟ يا لك من صبية، ألأنك تعلمت بعضًا من الأشياء، تتفوهين بهذه الطريقة في وجه أمك؟ إنك أيتها الصبية، كلما قلت لك شيئًا، تطلقين الكلام في وجهي بدلًا من الهدوء والانصياع. حسنًا هل تعتقدين أن أفعالك تلك صحيحة؟ نحن لا نملك مالًا... لو كان عندنا المال الذي نشتري لك به الحذاء لكان أحرى بنا أن نجعل بونغ شيك يكمل تعليمه».

ومن شدة غضبها أخذت بونغ يووم تأكل الثوماوات بطريقة متواصلة ولكنها لم تستطع تحمل ذلك الطعم الحاد جدًّا، وبدأ الدمع يظهر في عينيها.

«لماذا ليس عندنا نقود؟ لماذا لا تجعلان أخي يدرس؟؟».

وفي هذه اللحظة جال كلام المدرس في بال بونغ يووم بسرعة البرق، ولكنها أدركت أنه لا يجب أن تكون أمها هي مرمى الاستياء الذي يغلي في قلبها لدرجة تجعله يوشك على الانفجار. فالأم مسكينة جدًّا لا تعرف أي شيء وفقط تفكر أن ابنتها مخطئة وتحاول دائمًا الدخول في شجار معها. كما شردت ناظرة لبنتها وعقلها لا يستوعب هذا الموقف.. إن من لا يملك أي شيء يتعرض لمثل هذه الإهانة حتى من الذين هم من أصلابهم ناهيك عن غيرهم من الناس، هذه الفكرة جعلتها تستشيط غضبًا وتشعر بحرارة تخرج من أجفانها بقدر الاستياء الذي شعرت به بسبب ما عانته حتى الآن من الفقر.

«أنا من يعرف لماذا ليس عندنا نقود؟ لماذا ولدت أنت لأسرة فقيرة مثلنا؟ لم لم تولدي لأسرة غنية؟ أيتها الصبية، أوف ما كل هذا الهراء أيتها الصبية؟».

وبينما ترى بونغ يووم أمها التي يبدو عليها الضيق قفز في رأسها فجأة مشهد تقسيم حصص الإيرادات من الزراعة في خريف العام الماضي. مشهد أبيها وأمها عندما سلب بانغ دونج منهما كل محصول الأرز الذي زرعاه طوال فصل الصيف. إن وجه أمها الآن يشبه وجهها في ذلك المشهد تمامًا. المشهد الذي كان فيه الأب والأم لا يقويان على أي اعتراض، بل إن الأم كانت مسكينة لدرجة التذلل.

«أمي، يجب أن تعرفي لم نحن فقراء، لماذا لا تستطيعين شراء الحذاء لي، لماذا لا يكمل أخي تعليمه!».

وبينما تقول هذا الكلام دار في قرارة نفسها أنه ليس من الخطأ أن ترغب في ارتداء حذاء رياضي. كما قفز في ذهنها قول أو قولان مما سمعته من مدرسها.

«أيتها البلهاء أتسألين لماذا ليس عندنا نقود، ليس عندنا نقود لأنه ليس لدينا أملاك، نحن نزرع في أرض غيرنا، آه لو كان عندي أرض......».

وبهذه الكلمة شعرت الأم بوخز في صدرها واحتبس الكلام ولم يخرج.

وانهمرت الدموع من عينيها حال تذكرها ذلك الحقل الذي كان ملكًا لها والمجاور لحقل الصنوبر الصغير، ومن بين قطرات دموعها خُيل لها أنها ترى مشارف ذلك الحقل.

وفي تلك اللحظة وصل إلى مسامعهما صوت إطلاق نيران، فهبتا واقفتين وهما تحدقان.

ثم برز أمام أعينهما كلب أسود كان ينام تحت أعواد القش المتراكم وهو ينبح نباحًا عاليًا.



التجول

أهم جماعة (ما جوك) أم هم الحزب الشيوعي؟ دار في رأسهما هذا الصراع ونظرتا إلى القرية الواقعة في الضفة الأخرى، وتصاعد نباح الكلاب من هذه القرية وتلك القرية، مما جعل القلق يتأجج في صدريهما. حتى أن الهواء الذي كان منعشًا قبل لحظات، تحول لرعب يلامس أطراف ملابسهما.

«ليت أباك يعود بسرعة، لماذا يحدث شيء كهذا؟ يبدو أن هناك شيئًا ما، ما العمل؟».

لم تستطع أم بونغ يووم أن تستقر واقفة في مكانها وبدا عليها أنها على وشك البكاء، واستمر دوي إطلاق النيران، مما دفعهما دون أي تفكير لداخل الغرفة. لقد تأكدت الآن أن أمرًا ما يحدث في تلك القرية، وتوقعت أنه ربما قد سقط بعض القتلى جراء إطلاق النيران، وما إن فكرت أم بونغ يووم هكذا حتى اشتعل لهيب حار داخل صدرها لدرجة لم تقو على تحملها، ومع ذلك لم تجرؤ على الخروج من باب الغرفة فقد شعرت أن هناك ما يندفع ناحيتها.

«ما العمل؟ ما العمل؟ لم لا يأتي حتى ولو بونغ شيك فقط؟».

همست هكذا وهي ترتعد من الخوف. فهي مهما حاولت إقناع نفسها فإنه لا يتراءى لها أن زوجها سيكون بخير أبدًا. كما خطر لها هاجس بأنه قد تعرض لشيء ما خلال إطلاق النيران هذا أثناء جلوسه مع بانغ دونج.

«يا ابنتي، هل كان أبوك جالسًا مع بانغ دونج؟ هل رأيت ذلك حقًّا؟».

وشعرت أن حلقها قد جف تمامًا وضاق صدرها، وحتى بونغ يووم كانت ترتعد بشدة ولم تستطع أن ترد على أمها بالكلام فأجابت بعينيها فقط، وحينئذ سمعتا صوتًا كوقع الأقدام قادمًا من بعيد فركضتا إلى الحفرة التي في ركن المطبخ وقبعتا خلف غرارة البطاطا لا يفصل بينها وبينهما فاصل، وشعرتا كأن هناك ما أو من يقترب لقتلهما، ولكن بعد برهة طويلة..

«يا أمي!».

استجمعتا شتات نفسيهما بصعوبة مع سماع نداء بونغ شيك الذي ينادي فردتا عليه بالصراخ مع أن أقدامهما لم تقو على حملهما للخروج فورًا، وبعدها ما لبثتا أن خرجتا من الحفرة حتى تسمرتا في مكانهما مرة أخرى. فبونغ شيك كان مغطى بالدم من رأسه حتى أخمص قدميه وبجواره كان الدم ينفر بغزارة من عنق أبيه الذي بدا وكأن بونغ شيك قد أرقده قبيل لحظات، وأما أمه...

«يا ويحي!».

صرخت وافترشت الأرض خائرة القوى ثم تبلهت وشردت دون حراك. بينما بدت على بونغ شيك شفقته تجاه أمه.

«يا أمي لم أنت هامدة هكذا؟، تعالي يا أمي، هيا تعالي هنا».

وسرعان ما أمسكت بونغ يووم بذراع أمها لتساعدها على النهوض، وما لبثت الأم أن وقفت حتى خرت هامدة مرة أخرى.

«أبوك.... أبوك».

لم تكن تملك إلا أن تتمتم هكذا.

ولم تستطع أم بونغ يووم أن تستجمع شتات ذهنها حتى انقشع ظلام الليل، عندها بكت مصدرة أنينًا حزينًا.

«كيف قابلت أباك؟ أكان حيًّا؟ ماذا قال لك؟».

شعر بونغ شيك بمرارة في حلقه لذلك رضب ريقه.

«أكان حيًّا؟؟ ما هذا السؤال الآن؟».

شعر بالاضطراب ولم يدر ما العمل أمام أمه التي بدا عليها أنها تنتظر إجابته، فصاح بهذا الرد ثم تنهد بشكل قوي. حيث إن الأمر في النهاية آل لما رآه خطيرًا جدًّا إثر حسن معاملة أبيه لبانغ دونج ولأعضاء جماعة (جا x).

ولقد صل الأمر للشجار معًا حول هذا الموضوع عندما كان أبوه حيًّا يرزق، إلا أن أباه أصر على موقفه حتى النهاية، وبغض النظر عن إصراره فهو نظرًا لأوضاعه لم يكن يملك أي خيار آخر.

ففي حياة والده لطالما فكر بونغ شيك أن أباه ليس على صواب، ولكنه في اللحظة التي سمع فيها من أبي يونغ آي أن أباه سقط بعد تعرضه لطلق ناري ركض إلى مكان الحادث، وعندما شاهده جال في عقله أن جميعهم تخطوا الحد، وانتابه دوار في فورة غضبه ولم يعد قادرًا على تحديد من على خطأ ومن على صواب.

في اليوم التالي بعد تلقيه العزاء في أبيه قال بونغ شيك إنه ذاهب ليروح عن نفسه بالهواء الطلق ثم خرج، وظلت الأم وبنتها تعدان الأيام في انتظار عودته ولكن ناهيك عن عدم عودته فقد انقضى الربيع وأخباره منقطعة تمامًا، ولما لم تطيقا الانتظار حتى عودته خرجتا للبحث عنه، ومر عليهما شهر وهما هائمتان على وجهيهما تبحثان عنه ولكنهما لم تتمكنا من العثور عليه حتى وصلتا أخيرًا إلى مدينة لونغ جينغ. فهما تتذكران بونغ شيك وهو يتمتم متذمرًا كلما خرج من مدينة لونغ جينغ قائلًا إنه أيضًا يجب أن يدرس حتى ولو اضطر للعمل جاهدًا مع

الدراسة، ولذا خطر لهما أنه لربما يرتاد مدرسة ما هنا. فذهبتا إلى مدرسة تلو الأخرى وتلفتتا في جميع الاتجاهات في أفنية كل المدارس ولكنهما لم تريا حتى ولو طالبًا يشبه بونغ شيك، وعندما استدارتا بعد بحثهما في مدرسة (TH) آخر المدارس التي زارتاها شعرتا بالحنق والغيظ من بونغ شيك ومع ذلك لم تستطيعا تحديد وجهتهما أيضًا بسبب تضرم القلق في قلبيهما أيكون قد مات؟ ترى إلى أين ذهب؟ أين ذهب وأين يمكث؟ أين سينام هذه الليلة؟ لم يعد يشغل بالهما سوى هذا القلق.

ومع اقتراب مغيب الشمس ذهبتا إلى بانغ دونج. فهما منذ اتجهتا ناحية مدينة لونغ جينغ لا تفكران سوى في بانغ دونج. كانتا تفكران أنهما إن لم تجدا بونغ شيك فعلى الأقل ستقابلان بانغ دونج وتلحان عليه في أن يبحث عن بونغ شيك، وبعد عبورهما بوابتين كبيرتين ظهر بانغ دونج أخيرًا.

«أنت جئت؟ أنت جئت متى؟». ([1])

وعبر عن ترحيبه بهما فاتحًا عينيه بشكل واسع، وتنهدت أم بونغ يووم تنهيدة خفية وهي تتفحص تعابيره المرحبة لشعورها بأن هذا نجاح لنصف المهمة التي جاءتا من أجلها له، وربت بانغ دونج على رأس بونغ يووم.

«أين كان أنت وقت طويل؟ ذهبت أنا يرى أنت. أنت لا موجود، أنا حزين».

«لقد خرجنا بحثًا عن بونغ شيك، أتعرف أين ذهب بونغ شيك؟».

وكان قلب أم بونغ يووم يخفق بشدة وعيناها كانتا معلقتين ببانغ دونج.

«أنا لا أرى بونغ شيك، لا أعرف».

دار فى رأسها أنه ربما يعرف مكانه فظلت ترقب شفتي بانغ دونج ثم طأطأت رأسها. قاد بانغ دونج الأم وبنتها للداخل، أما المرأة الشابة التي يبدو أنها زوجة بانغ دونج والتي كانت فوق المدفئة الأرضية فنقلت نظراتها بين ثلاثتهم مبدية نظرات الشك، ومرت برهة طويلة من الزمن وبانغ دونج يحاول تقديم البنت وأمها للزوجة حتى قالت أخيرًا داعية كلتيهما:

«اصعدا واجلسا».

وأما بانغ دونج فصب الشاي وقدمه لهما، وبينما تشم الأم وبنتها رائحة الشاي أخذتا تنظران خلسة في أركان الغرفة، الغرفة كانت رحبة وفي جانبيها الأيمن والأيسر توجد التدفئة الأرضية، وتراصت الحجارة اللامعة تحت هذه التدفئة، وأمام النافذة الموجودة بتلك الناحية الأخرى طاولة رخامية يعلوها -بقدر ما يثقلها- ساعة صغيرة وساعة كبيرة وحوض أسماك زجاجي، به براح لتسبح فيه سمكة ذهبية، إضافة إلى أشياء لا نعرف لها اسمًا تتمركز جميعها حول أصيصين

للزهور تخرج منهما أشعة لخمسة ألوان فوق خلفية سوداء، وعلقت فوق النافذة مجموعة متناثرة من صور لأفراد العائلة، بما فيها صورة بانغ دونج، بينها ورد صناعي فقد بريقه. أما على الحائط في هذا الجانب البعيد عن الطاولة فعلقت صورة لبوذا مرسومة بخطوط عريضة حيث بدا وكأنه يصارع النعاس، وفي الناحية المقابلة تحتل الحائط بأكمله مرآة تشبه لوح الباب وفي ذلك الجانب البعيد خارج النافذة توجد شرفة ورد تبعث في العيون برودة عند رؤية ألوانها الخضراء.

دار عقلاهما منبهرين كأنهما دخلتا عالمًا خياليًّا تتميز أرضه وسماؤه، ومع علمهما بحقيقة الأمر إلا أن خجلهما من هيئتهما الباهتة زاد لدرجة تحبس أنفاسهما.

استند بانغ دونج على كرسي عالٍ ولم تلامس قدماه الأرض، ثم وضع لفافة تبغ بين شفتيه مشعلًا إياها.

«هل لديك أقارب هنا؟».

رفعت أم بونغ يووم رأسها:

«لا ».

وهي تتساءل عن سبب سؤال بانغ دونج حول وجود أقارب لها، تملكها حينئذ شعور شديد بالوحدة، وفي نفس اللحظة أدركت كم هي مسكينة كونها جاءت لبانغ دونج للاعتماد عليه، فشردت بنظرة ثابتة تجاه شرفة الورد خلف كتفه. إن شرفة الورد مفعمة باللون الأخضر الناصع لأوراق النبات النضرة! وفجأة قفز في ذهنها أن نبتة الدخن، التي كانت تنبثق من الأرض في الحقل، لربما قد نمت كثيرًا الآن! إنه وقت الانشغال باقتلاع الحشائش، فلم لا أقوم بذلك الآن؟ وفجأة اشتعل قلقها حول كيفية تحصلهم على قوت يومهم في الخريف، ومع اتساع مدى رؤيتها بدت لها السماء صافية لا يعكر صفوها شيء وكأنها حقل بعيد مغمور بالمياه، عندها تذكرت فجأة ذلك الحقل الذي كانوا يزرعونه. ذلك الحقل المغمور لدرجة تلاطم المياه في أركانه. من المرجح أن شجيرات الأرز قد نمت كثيرًا الآن، عندما رفعت عينيها مرة أخرى للسماء خطر في بالها أتكون تلك السماء هي نفس السماء التي كانت تتخلل شجيرات الأرز! أليس هذا زوجها يمخر عباب شجيرات الأرز برجليه العريضتين وما عليهما من شعيرات مهتزة! وشعرت بوخزة في قلبها فنظرت إلى بانغ دونج مرة أخرى. إن بانغ دونج هذا هو الذي قال للزوج تعال وكان يجلس معه، هو الآن حي يرزق أمامها فلماذا مات الزوج، مع هذه الفكرة سيطر عليها الحزن والقهر اللذان لطالما حاولت كبحهما.

«أنت لا يوجد واحد من عائلة؟ أين جئت أنت؟».

هكذا سألها بانغ دونج متلهفًا مرة أخرى بعد برهة طويلة، أما إحساس الوحدة والقهر الذي يصارع للخروج من جوفها فتحول لدموع منهمرة تساقطت ردًّا على سؤال بانغ دونج. وفي انهيار تام طأطأت رأسها ومسحت دموعها بأطراف تنورتها، ومع رؤية أمها هكذا اغرورقت بالدموع عينا بونغ يووم التي كانت تجلس بجوارها، ووقع بانغ دونج في حيرة من أمره وهو ينظر لهما، ومع مرور الوقت وتفسير سلوكهما أدرك أنهما جاءتا لتحصلا على شيء ما منه هو بشخصه، وإذا لم يكن الأمر كذلك فقد جاءتا هنا من أجل البيت، ولم يرق له هذا الأمر. فلكي يدفعهما للخروج من بيته اليوم شعر أن عليه منحهما حفنة من النقود، ولكن أيمكنه أن يتركهما فترة من الزمن في بيته نظير قيامهما ببعض الأعمال؟ خطرت له هذه الفكرة غير الواضحة الأركان، ونبتت على شفتيه ابتسامة خفيفة.

«أنت لا يوجد عائلة، لكن موجود بيتي، بونغ شيك يأتي هنا يزور، نعم».

مع سماعها اسم ابنها الذي خرج من بين شفتي بانغ دونج اجتمعت عليها أحاسيس الحنق والاشتياق والوحدة لدرجة لا تستطيع تحملها.

أحقًّا سيأتي بونغ شيك في وقت ما للبحث عني كما يقول بانغ دونج؟ أم أنه بموته على يد أحدهم كوالده لن يأتي مرة أخرى؟ وبدوران هذا التساؤل في رأسها أجهشت بالبكاء.

وعاشت البنت وأمها في بيت بانغ دونج مقابل القيام ببعض أعمال البيت، وكلما مرت الأيام أصبح بانغ دونج يتعامل معهما بطيبة أكثر، وأحيانًا كان يذهب للغرفة التي تمكثان فيها ليتسامروا حتى وقت متأخر من الليل وفي بعض الأحيان كان يعطي لهما بعضًا من أقمشة الملابس أو بعض المأكولات، وعندها كانت أم بونغ يووم لا تستطيع النوم لوقت طويل من الليل لشدة تأثرها بذلك.

وفي الليلة التالية لذهاب زوجة بانغ دونج لزيارة أهلها وباستخدام آلة الحياكة قامت أم بونغ يووم بحياكة ملابس بانغ دونج الداخلية التي كانت الزوجة قد قصتها. إن الأم لا تعرف متى سترجع الزوجة ولكن على أي حال فإن الزوجة ستشعر بالرضا إذا قامت الأم قبل رجوعها بإنهاء حياكة كل ما تركته مقصوصًا. لذلك لم تنم الأم طوال الليل ومكثت تدير آلة الحياكة، وقد تعلمت كيفية استخدام هذه الآلة بعد مجيئها لهذا البيت، لذا لم تكن متمكنة من الأمر بعد، وبالتالي لم يكن حذرها عاديًّا فقط بل كانت شديدة الحذر خشية أن تنكسر الإبرة أو تتعطل الآلة.

ومن غرفة بانغ دونج الموجودة بالناحية البعيدة خرج صوت الناي يشدو حزينًا. فكلما جن الليل قام بانغ دونج بالنفخ في الناي أو العزف على الربابة. إن صوت الربابة مزعج لدرجة أنه أحيانًا يبدو كصوت جرو يحك الباب بأظافره ويعوي في طلب أمه بقدر يثير القشعريرة، ولكن بسماع صوت الناي دون الربابة يمكن القول إنه لا بأس به.

وتنهدت الأم وهي تتابع طرف الإبرة التي تندفع بشجاعة فوق الأقمشة مغمغمة.

«آه يا بونغ شيك، لم لا تأتي بحثًا عن أمك؟».

إنها لا تكف مطلقًا عن التفكير في بونغ شيك، وعندما يأتي أحد الغرباء للبيت فإنها لا تتخلى عن الانتباه ولو للحظة واحدة حتى ذهابه تحسبًا لأن هذا الشخص ربما قد يكون حاملًا لأخبار بونغ شيك. كل هذا الانتظار كان دون جدوى، فكل يوم يمر كالذي سبقه، فقط تتباعد الشقة بينها وبين أخباره، ومع أن بانغ دونج كان يتعامل معهما جيدًا إلا أن زوجته أحيانًا كانت تبدي لهما وبوضوح ما يعبر عن كرهها لهما.

ولم تكن مرة أو مرتين عندما بكت الأم حانقة على بونغ شيك ومشتاقة له. لقد صار من المستحيل أن تمكث في هذا البيت خلال الأيام القادمة، وكلما مرت الأيام زاد شعورها بوجوب الذهاب لأي مكان آخر، ولكن كان هذا قلقًا في جوفها فقط. فلم يكن هناك حل آخر، ومع صراعها مع تلك الأفكار، جال في خاطرها أن تستغل فرصة عدم وجود زوجته لتطلب من بانغ دونغ أن يستأجر لها بيتًا، ومع هذه الفكرة خيل لها الوجه السمين لبانغ دونج وهو جالس ينفخ في نايه، ولكن كيف لها أن تسأله هذا، وماذا بعد حصولها على إيجار بيت؟ ففيه على الأقل يجب أن توجد بعض الآنية. فكيف لها أن تؤدي أعمال بيتها وهي لا تملك أي شيء. تصارعت كل هذه الأفكار في رأسها وظلت شاردة في ضوء المصباح.

وفي لحظة ما انقطع صوت الناي وخيم الصمت على المكان من جميع الاتجاهات. فقط كان الصوت الوحيد الذي تسمعه هو صوت الأنفاس العميقة لبونغ يووم النائمة، وبينما هي شاردة تراقب الذبابات اليومية التي تتطاير بكل ما تملك من قوة حول المصباح استحضرت حياة زوجها القصيرة في مخيلتها. بحياته وموته هكذا لم لم أستطع أن أعد له طبقًا جانبيًّا لذيذًا ولو مرة واحدة؟ لقد كان يأكل الشطة فقط لدرجة تجعله يتبلل عرقًا، ويحي.... لم الملح هنا غالٍ جدًّا هكذا؟ ومع هذا فاستخدام الملح شائع هنا في هذا البيت. "إنه كذلك، هنا المال كثير، لذا هم يشترون دائمًا. المال؟ إذا وجد صار كل شيء ممكنًا. المال

الذي يمكنهم من شراء ذلك الملح الغالي بقدر ما يريدون. لم لم نستطع جمع هذا المال."

في هذه اللحظة ارتفع صوت وقع أقدام وسمعت صوت الباب ينفتح. فتفاجأت واستدارت بحركة خاطفة، ودخل بانغ دونج مرتديًا بنطالًا أسود وقميصًا صيفيًّا أبيض وتعلو وجهه ابتسامة تكشف ثغره. فقامت على الفور ممسكة الأقمشة بيد واحدة.

«أنت جلست، كنت فقط تعمل؟».

نقل بانغ دونج نظره من وجهها إلى الأقمشة، وذهبت الأم لتجلس قريبًا من المصباح ويدور في رأسها أتقول له الآن أم لا؟ من فضلك استأجر لي بيتا. كادت شفتاها تنبس بهذه الكلمات ولكنها تماسكت وفقط ظلت تتمعن خلسة في ملامح بانغ دونج.

«ملابس من هذه؟ أهي ملابسي؟».

ومن غرفة بانغ دونج الموجودة بالناحية البعيدة خرج صوت الناي يشدو حزينًا. فكلما جن الليل قام بانغ دونج بالنفخ في الناي أو العزف على الربابة. إن صوت الربابة مزعج لدرجة أنه أحيانًا يبدو كصوت جرو يحك الباب بأظافره ويعوي في طلب أمه بقدر يثير القشعريرة، ولكن بسماع صوت الناي دون الربابة يمكن القول إنه لا بأس به.

وتنهدت الأم وهي تتابع طرف الإبرة التي تندفع بشجاعة فوق الأقمشة مغمغمة.

«آه يا بونغ شيك، لم لا تأتي بحثًا عن أمك؟».

إنها لا تكف مطلقًا عن التفكير في بونغ شيك، وعندما يأتي أحد الغرباء للبيت فإنها لا تتخلى عن الانتباه ولو للحظة واحدة حتى ذهابه تحسبًا لأن هذا الشخص ربما قد يكون حاملًا لأخبار بونغ شيك. كل هذا الانتظار كان دون جدوى، فكل يوم يمر كالذي سبقه، فقط تتباعد الشقة بينها وبين أخباره، ومع أن بانغ دونج كان يتعامل معهما جيدًا إلا أن زوجته أحيانًا كانت تبدي لهما وبوضوح ما يعبر عن كرهها لهما.

ولم تكن مرة أو مرتين عندما بكت الأم حانقة على بونغ شيك ومشتاقة له. لقد صار من المستحيل أن تمكث في هذا البيت خلال الأيام القادمة، وكلما مرت الأيام زاد شعورها بوجوب الذهاب لأي مكان آخر، ولكن كان هذا قلقًا في جوفها فقط. فلم يكن هناك حل آخر، ومع صراعها مع تلك الأفكار، جال في خاطرها أن تستغل فرصة عدم وجود زوجته لتطلب من بانغ دونغ أن يستأجر لها بيتًا، ومع هذه الفكرة خيل لها الوجه السمين لبانغ دونج وهو جالس ينفخ في

نايه، ولكن كيف لها أن تسأله هذا، وماذا بعد حصولها على إيجار بيت؟ ففيه على الأقل يجب أن توجد بعض الآنية. فكيف لها أن تؤدي أعمال بيتها وهي لا تملك أي شيء. تصارعت كل هذه الأفكار في رأسها وظلت شاردة في ضوء المصباح.

وفي لحظة ما انقطع صوت الناي وخيم الصمت على المكان من جميع الاتجاهات. فقط كان الصوت الوحيد الذي تسمعه هو صوت الأنفاس العميقة لبونغ يووم النائمة، وبينما هي شاردة تراقب الذبابات اليومية التي تتطاير بكل ما تملك من قوة حول المصباح استحضرت حياة زوجها القصيرة في مخيلتها. بحياته وموته هكذا لم لم أستطع أن أعد له طبقًا جانبيًّا لذيذًا ولو مرة واحدة؟ لقد كان يأكل الشطة فقط لدرجة تجعله يتبلل عرقًا، ويحي.... لم الملح هنا غالٍ جدًّا هكذا؟ ومع هذا فاستخدام الملح شائع هنا في هذا البيت. "إنه كذلك، هنا المال كثير، لذا هم يشترون دائمًا. المال؟ إذا وجد صار كل شيء ممكنًا. المال الذي يمكنهم من شراء ذلك الملح الغالي بقدر ما يريدون. لم لم نستطع جمع هذا المال".

في هذه اللحظة ارتفع صوت وقع أقدام وسمعت صوت الباب ينفتح. فتفاجأت واستدارت بحركة خاطفة، ودخل بانغ دونج مرتديًا بنطالًا أسود وقميصًا صيفيًّا أبيض وتعلو وجهه ابتسامة تكشف ثغره. فقامت على الفور ممسكة الأقمشة بيد واحدة.

«أنت جلست، كنت فقط تعمل؟».

نقل بانغ دونج نظره من وجهها إلى الأقمشة، وذهبت الأم لتجلس قريبًا من المصباح ويدور في رأسها أتقول له الآن أم لا؟ من فضلك استأجر لي بيتا. كادت شفتاها تنبس بهذه الكلمات ولكنها تماسكت وفقط ظلت تتمعن خلسة في ملامح بانغ دونج.

«ملابس من هذه؟ أهي ملابسي؟».

أمسك بقبضته طرف الأقمشة ونظر لها قائلًا:

«هل هذه ملابسي..... هل أنت جائع؟ نحن نذهب غرفة أنا، نحن نشرب شاي وأكل حلوى. نعم نحن اخرج».

وأخذ يجذب طرف الأقمشة.

لو كانت هي كما كانت في الماضي لخرجت مسرعة وراء بانغ دونج ولكنها ترددت حيث إن زوجته ليست هنا.

«لست جائعة».

بقولها هذا ظهرت تعابير الخجل على وجهها عابرة على أطراف حاجبيها بشكل غير مفهوم. أما بانغ دونج فجذب الأقمشة منها.

«اذهب، هيا. سرعة نعم هيا!».

كانت الأم تنظر إلى الأقمشة وهي لا تعرف ماذا عليها أن تفعل. أأستغل هذه الفرصة لأطلب منه استئجار بيت لي أم لا؟ حقًّا هل أطلب......؟

«أنت لا تذهب؟».

هب بانغ دونج واقفًا وقال لها هكذا بصوت عال بعكس ما كان قبل قليل. قامت الأم بدورها مسرعة جراء شعورها بالرهبة، وخرج بانغ دونج مقلبًا شفتيه بغير رضا بينما شعرت بكراهية شديدة تجاهه عندما رأت ما بين منكبيه من شحوم، ولم تتحرك قدماها فالتفت بانغ دونج بحركة خاطفة بعد أن خرج من الباب، وارتسمت على وجهه ملامح مخيفة لا يمكن وصفها. أما الأم فنزلت من على التدفئة خائرة القوى، ومع وقوع نظرها على ابنتها النائمة شعرت بثقل يجثم على صدرها لدرجة جعلتها ترغب في الصراخ والبكاء.



الوضع

أواخر ربيع العام التالي، في أحد الأيام وقت الشفق، كانت الأم تقوم بالحياكة ثم فركت عينيها وهي تحدق في باب الغرفة. بدت ظلال نهايات القرميد الخشبي بوضوح فوق الباب الأحمر. ترى أسيأتي بانغ دونج اليوم؟ ترى إلى أين ذهب ليبقى طويلًا هكذا؟ دارت هذه الأفكار في رأسها ثانية. كانت تلك هي الأسئلة التي تريد توجيهها لزوجة بانغ دونج حال مقابلتها، ولكن كلما كانت الأم ترى ملامح الزوجة التي لطالما كانت جامدة وباردة،

ابتلعت الكلمات التي كانت تود أن تتفوه بها، وكانت كلما حان وقت الغروب اعتصر القلق قلبها متسائلة أسيأتي اليوم أم لا؟ بالنسبة لها مجيء بانغ دونج ليس أمرًا يدخل السرور لقلبها إلا أنه ولسبب ما أصبحت تشعر بالاشتياق له مع طول انتظارها. يا ليته يأتي، بالتأكيد سأقول له هذه المرة، ولكن ماذا أقول، لم يتفتق ذهنها عما يمكن أن تقوله، غير شعورها بحرارة في أذنيها. ترى هل هو أيضًا يتوقع ذلك؟ ما هذا الكلام؟ بالطبع لا، الرجال أصلًا لا يفعلون ذلك، أفيكون هو استثناء لذلك... وفي مخيلتها رسمت صورة لوجه بانغ دونج وأخذت تنظر لها في حنق وغيظ.

فأفعال بانغ دونج بعد تلك الليلة بدت لها أنها أصبحت جافة وباردة مهما حاولت أن تحملها على محمل حسن.

ففي البداية كانت تفسر هذه الأفعال بأنها ناتجة عن أنه شخص عفيف، إضافة إلى زوجته، ذات الشخصية الحادة، الموجودة بجواره، ولكن مع مرور الوقت بدأ يتسلل لها شعور بالحنق والغيظ، ولكن من ناحية أخرى شعرت أن هناك حبلًا غير مرئي تميل من خلاله مودتها التي لا تنضب ناحية بانغ دونج. تنهدت تنهيدة طويلة وعميقة ومسحت العرق الذي يسيل على ناصيتها. "متى سيحين الوقت الذي لا أتردد فيه أنا أيضًا عندما أبادر بانغ دونج بالكلام شاعرة بالحب من ناحيته؟" مع دوران هذه الفكرة في عقلها سرت في جسدها قشعريرة من حلاوتها، ولكنها عندما أدركت كل ما يدور حولها ساورها شعور بالبكاء. كما أن حسدها لزوجة بانغ دونج كان لا نهاية له، وطأطأت رأسها وهي خائرة القوى ولعنت سوء حظها الذي أدى لحملها بطفل ثم أمسكت الأقمشة. إنها تلك الليلة التي تذكرتها وهي تتابع طرف الإبرة، ألم يتهجم عليّ بانغ دونج وكأنه نمر غاضب في تلك الليلة. أليس هذا الطفل الذي في بطني قد نتج لأني لم أستطع التغلب على بانغ دونج حتى مع مواجهتي له بكل قوتي متشبثة بالستائر الحريرية التي وضعت لتعتيم الغرفة حينما كنت في قمة الخوف والرعب. عندما أتمعن في الأمر يبدو أنه لم يكن خطئي. إذن لماذا لا أستطيع أن أقول هذا لبانغ دونج بمطلق حريتي!؟ حتى المعكرونة الباردة التي أرغب بشدة في

تناولها، فقط تحملت ولم أستطع تناولها حتى الآن. ربما أن كل هذا بسبب حماقتي. لماذا لا أستطيع الكلام؟ لماذا أتردد؟ سأتكلم هذه المرة، بكل تأكيد سأتكلم، وسأطلب منه أن يشتري لي طبقًا من المعكرونة الباردة، عزمت على هذا وهي ترسم في مخيلتها طبق المعكرونة وتبلع ريقها بتلذذ، ولكنها أدركت أن كل هذه الأفكار لا تتعدى الهراء ولا جدوى منها لذا تنهدت بعمق شديد وخرجت من بين شفتيها ضحكة ساخرة. فلقد رأت نفسها مسكينة مثيرة للضحك، فبرغم هذه المعضلات التي تحيط بها كالجبال، كانت كطفلة تفكر في ما تريد أن تأكله أولًا، ولكن عندما يتعلق الأمر بالطعام فلا يمكن تحمله. إنني أشعر باللعاب يسيل في حلقي من شدة رغبتي في أكلها، وكلما جالت المعكرونة الباردة في خاطري، أشعر أنني غير مستقرة لبرهة من الزمن.

وعند علمها بأنها حامل، حاولت الأم التخلص من الجنين بكل الطرق حتى غير الاعتيادي منها. فلقد حاولت لكم بطنها بقوة كما أسقطت نفسها عمدًا بقوة وأيضًا صكت بطنها في الحائط مرات ومرات، وبالرغم من كل هذه المحاولات لم تفلح جهودها للتخلص من الجنين ولذلك كانت تجلس أكثر من مرة في بعض الليالي الدامسة لتتجرع الصودا الكاوية، ومع ذلك كانت في تلك الليالي ترغب في تناول المعكرونة الباردة، وكأن هناك أحدًا ما بجوارها يخفي عنها المعكرونة ولا يعطيها إياها. إن الموت هكذا دون أكل المعكرونة التي ترغب جدًّا في تناولها لهو أمر محزن ومؤسف جدًّا، وفوق ذلك كانت كلما أقدمت على ذلك وفكرت في بونغ يووم أفلتت وعاء الصودا الكاوية من يدها ليسقط أرضًا.

ومع تقدمها في الحمل أصبحت لا تعرف ما الذي عليها القيام به. أولًا لكي لا يفتضح أمرها ربطت شريطًا على بطنها بإحكام شديد واعتادت على تحمل الجوع بتفويتها وجبة أو وجبتين، وعلى قدر الإمكان تجنبت لقاء الناس وعادة ما مكثت للعمل بمفردها.

ومع سماع صوت عربة يجرها الخيل رفعت رأسها بحركة سريعة، وسمعت وقع أقدام تخرج منطلقة من غرفة بانغ دونج كما سمعت أطفاله الصغار ينادونه بابا! بابا! إذن فلقد جاء. خطر لها ذلك، وخفق قلبها بشدة لدرجة أن الجنين تحرك في بطنها، ومع رؤيتها ارتفاع طيات تنورتها قامت بالضغط على بطنها بشدة، ومع اقتراب وقع الأقدام نحوها قامت مسرعة، وجال في نفسها أنه لربما جاء بانغ دونج لرؤيتها.

«أمي لقد جاء بانغ دونج، ويطلب منك أن تذهبي له».

فتحت بونغ يووم الباب ومدت عنقها ناظرة للداخل. خاب أمل الأم قليلًا بأنه ليس بانغ دونج ومع ذلك شعرت بالاطمئنان، ولكن بسماعها أنه طلب أن تأتي

كي يراها شعرت بخجل شديد وفجأة تملكها فزع شديد لا تعرف سببه، ولم تقو على التفوه بأي كلمة فالتصقت شفتاها بينما كانت أطرافها الأربعة ترتجف.

«أمي هل أنت مريضة؟».

لقد أنزلت بونغ يووم ذؤابتها بطريقة حسنة كالفتيات الصينيات، وكانت عيناها تبدوان دائريتين من بين خصلات شعرها وتنظر لأمها بحيوية مفعمة، ولكي لا تلاحظ بونغ يووم شيئًا أدارت الأم رأسها مجيبة.

«لا!».

أما بونغ يووم فقد كانت تفكر في شيء ما لبرهة طويلة.

«أمي، ترى لم يبدُ بانغ دونج غاضبًا؟».

«لم؟ ماذا فعل؟»

«سأخبرك».

وبينما بونغ يووم بجوار قدر الأرز تنظر إلى أظافرها المتآكلة كريهة المنظر، فكرت في وجه بانغ دونج الذي رأته قبل قليل، وحينها صرخت فيهما زوجته بصوت حاد.

«ما الذي تفعلانه الآن؟ لقد قلت لكما تعاليا إلى هنا».

وعند سماع صوتها غير المعتاد هرعتا إلى غرفة بانغ دونج وهما تتنبآن أن شيئًا سيئًا سيحدث. نظر بانغ دونج للأم وبنتها وهو يحتضن طفليه اللذين عن يمينه وعن شماله. ثم قطب ما بين عينيه عابسًا ورمقهما بنظرة خاطفة حادة. بينما قلبت زوجته شفتيها بغير رضا.

«كم هي جيدة تربية ابنك حتى ينضم للحزب الشيوعي وهم أعداء لوالده. لا ضير في أن تقتل هذه الحشرات عشر مرات لا مرة واحدة. نحن والحزب الشيوعي لا يمكننا أن نصبح أقرباء. إنهم أعداؤنا. لا مكان لكما في بيتي من اليوم. عليكما الخروج من هنا».

ورمقتهما بنظرة حادة بينما شعرت الأم وبنتها أنهما لا تفهمان مطلقًا هذا الكلام الذي يدور حولهما ولم تستطيعا أن تستجمعا شتات وعييهما.

«لقد شهد زوجي مقتل أخيك عندما كان في منطقة كوك جا كا هذه المرة».

وزاد شتات أمرهما وشعرتا كأن أحدًا ما ضرب رأسيهما ضربًا قويًّا بعصا حديدية ودون أي رحمة، وبعد برهة طويلة نظرت الأم ناحية بانغ دونج، وفي محاولة لتفادي نظراتها التفت ناظرًا للأطفال ومع ذلك ملامحه كانت تعكس صحة هذا

الكلام، ولهذا زاد عدم وعي الأم بكل ما يدور حولها، أحقًّا إن بني قد...؟ وشعرت بصرخة مكتومة تسري في كل جنباتها.

«هيا اخرجا حالًا، فهم يقتلون كل الشيوعين في بلدة مانشوكو».

وأخذت زوجة بانغ دونج تدفعهما خارجًا وقرطاها يهتزان تحت أذنيها. فمهما فعل بانغ دونغ وزوجته، بدا ذاك الكلام لهما عاريًا من الحقيقة أو الصدق. ليت بانغ دونغ أخبرنا هو بهذا دون إخفاء أو تهرب، ولكنه شعر بالضيق بمجرد النظر إليهما. إنها تشعر بالغيظ منذ اللحظة التي أشبع فيها بانغ دونغ شهوته معها تلك الليلة وترغب بشدة في أن تركل مؤخرته بقسوة وسرعة. من بعدها وهو يتحاشى مواجهتها، ولكن بحياته مع زوجته غير البارعة في أعمال البيت، تحمل وأبقى عليهما يومًا بعد يوم حتى الآن؛ لأنه إذا قام بطردهما فسيتوجب عليه توفير جارية أو عامل نشيط وعندها سيكون عليه أيضًا أن يقدم الطعام والمال نظير العمل، وفوق كل هذا فقد كان بانغ دونغ لا يشعر بالراحة لاختلاق حجة من أجل طردهما.

أما في هذه اللحظة فقد اتخذ قراره بمجرد رؤيته مقتل بونغ شيك في منطقة كوك جا كا، والأهم من هذا اعتقاده أنه بكونهما من عائلة أحد الشيوعين سيجلبا له قلقًا مستقبليًّا بشأن ما سيحدث له إذا تناقلت هذه الأخبار لقوات الحرس، وهناك أيضًا أنه لا يتحمل أبدًا تلك القشعريرة التي تسري في جسده عند سماعه فقط اسم الحزب الشيوعي لشدة غيظه من هذا الحزب.

في لحظة رؤيته للأم وبنتها وهما تخرجان من الباب مدفوعتين من قبل زوجته، تراءى له مشهد مصرع بونغ شيك.

فعندما خرج للريف هو وصديقه سمعا أنهم يقتلون الشيوعيين فاندفع وراء مجموعة من الناس ورفع رقبته ليرى ما يحدث، وعندها وجد أنهم بالفعل كانوا قد قتلوا ما يقارب العشرة من الشيوعيين ولم يتبقَّ سوى واحد فقط. شعر بالندم على عدم وصوله في وقت أبكر وبدأ يفرق الحشود ويتقدم حتى وصل للمقدمة. أليس هذا الشيوعي الجالس في الوسط بعد أن خرج مجرورًا بيد قوات الحرس هو بونغ شيك!! لم يصدق عينيه حينها لذا فركهما عدة مرات قبل أن ينظر مرة أخرى ليدرك أنه بونغ شيك بكل تأكيد. لقد أصبح وجهه أكثر سوادًا من ذي قبل، كما أصبحت ملامحه أكثر قسوة ولكنه هو بونغ شيك. أطلق بانغ دونج من حلقه شخيرًا وقام بإطلاق صيحات السباب بدرجة يستطيع بونغ شيك سماعها، وتملكه الإحباط حينها حيث كان في مخيلته أن بونغ شيك سيعود ليجد أمه بعد أن يجمع الأموال وحينها كان سيصبح بمقدور بانغ دونج المن عليه مما يجعل بونغ شيك يراعي ذلك جيدًا.

كان هناك أحد أفراد قوات الحرس بملابس عسكرية صفراء داكنة ويصب الماء على نصل السيف الحاد، وبعد تساقط قطرات الماء كحبات اللؤلؤ لمع نصل السيف بدرجة مخيفة مما جعل جندي قوات الحرس يبتسم ابتسامة خفيفة وهو ينظر إلى سيفه ثم حول نظره إلى بونغ شيك الذي ابيض وجهه من شدة الرعب ولكنه كان متماسكًا بصلابة وتعلو شفتيه ملامح ابتسامة ساخرة. لم يكن غليان صدر بانغ دونج خفيفًا عندما رأى تلك الابتسامة، وربط ذلك فجأة بتلك اللحظات التي كان يتعرض فيها لتهديدات الشيوعين مما جعله يتيقن تمامًا ودون شكوك أن بونغ شيك واحد منهم، ومع لمعان نصل السيف أطلق بونغ شيك صرخة مدوية، وفي لحظة سقط رأسه على الأرض والدماء تنفر بغزارة في الهواء، حينها شعر الناس بقشعريرة باردة وانتفضوا متراجعين للخلف.

بمجرد التفكير في هذا المنظر سرت قشعريرة في جسد بانغ دونج واحتضن أولاده بقوة متمنيًا أن تختفي الأم وبنتها من أمام ناظريه، وبرغم أنه تم دفعهما حتى خارج الباب إلا أنهما كانتا تعتقدان أن بانغ دونج سيتبعهما ليفض هذا ويفصل بينهن، ولكنه لم يحرك ساكنًا حتى أخذتا بؤجتيهما واتجهتا ناحية البوابة الأمامية. أما أم بونغ يووم فقد ملأ إحساس القهر صدرها لذا استدارت بحركة سريعة وأخذت تنظر شزرًا لما ظهر أمامها عبر النافذة الزجاجية مما بين منكبي بانغ دونج، وعندما همت الأم بأن تصيح في بانغ دونج، الذي كان يومًا ما قد اندفع ناحيتها كالمجنون، حملتها زوجته مع رجل لا تعرفه على الاستدارة مرة أخرى وأخرجاهما.

وفي تشتت تام لوعييهما خرجتا من أحد الشوارع الكبيرة وسارتا حتى ضفاف نهر هايلان، وحالت مياه النهر دون تقدمهما فتوقفتا، والآن أين نذهب؟ هذه الحيرة أدت إلى استجماع وعييهما اللذين كانا قد تشتتا من شدة الغضب. فرفعتا عينيهما في الأفق.

الشمس تسبح ببطء وكأنها معلقة في ذلك الجبل الغربي ورأتا من بعيد تلك القرية التي تحيط بها غابة من شجر الصفصاف، إنها تشبه تلك الغابة التي تقع بمحاذاة بلدة سانتاوكو التي كانوا يسكنون فيها. يخيل لي أن زوجي وبونغ شيك ما زالا هناك، وبعد أن فركت عينيها مرة أخرى انهارت الأم بعد أن خارت قواها، ومع شرودها في ماء النهر الذي يتدفق بصوت عال فكرت أن تموت، وفي الوقت نفسه فإن أخبار مقتل بونغ شيك والتي اعتبرتها حتى الآن كذبًا قد زادتها قلقًا على قلقها حتى كاد قلبها يتصدع. إنها لا تريد أبدًا أن تصدق تلك الأخبار. فبونغ شيك ولد ذكي، ومثله من المحال أن ينضم للحزب الشيوعي الذي هو عدو لأبيه.

إنها فقط أخبار كاذبة ليطردونا أنا وابنتي.

«اللعنة على تلك المرأة، أتقول إن ابني من الحزب الشيوعي، يا لهم من حمقى، فلتنزل الصاعقة عليهم، على من يقولون إنه من الحزب الشيوعي؟... إنكم من فعلتم هذا وستلقون مصيركم يومًا، على من تفترون بقولكم إنه من الحزب الشيوعي؟؟».

التفتت الأم إلى الشارع الكبير وحرقت أضراسها بعضها ببعض. كانت البيوت المبنية من اللبنات المرصوصة متناثرة بهذا الشارع.

وحقيقة إخراجهما وعدم وجود بيت لهما لتمكثا فيه برغم هذه البيوت الكثيرة، هي فكرة لا يمكن استيعابها لدرجة تجعل الكلمات تحتبس في جوفها، وبدا لها أن كل قاطني تلك المنطقة هم من أمثال بانغ دونج من البشر المخيفين، ومع كل هذا الشعور الذي يملؤها غيظًا وحنقًا، كان الشيء الذي يجعلها تشعر بوخزة قوية في قلبها هو أنها كلما رأت أحدًا من الناس يتجه نحوها، خطر لها أنه ربما يكون بانغ دونج قد خرج للبحث عنها.

وبينما أحاطتهما أشعة الشمس الخافتة التي تنبعث وقت الغروب زاد إحساسهما بالضياع، ومع بكاء بونغ يووم وسيلان الماء من أنفها قالت:

«أين سننام الليلة يا أمي؟؟».

في هذه اللحظة تملكت الأم رغبة جامحة في أن تعدو إلى بيت بانغ دونج وتطعن كل من فيه بالسكين لتقتلهم جميعًا دون استثناء أحد منهم ثم تقتل نفسها وابنتها، لذا هبت واقفة، ولكن حينئذ رأت أمامها الخطوط الحديدية الكبيرة التي تمتد بلا نهاية، ألن يأتي الوقت الذي يقبل فيه بونغ شيك، الذي لا تعرف أخباره، يمشي متمهلًا من هذا الطريق ليبحث عن أمه. أم أنه قد مات فعلًا ولا يمكن أن نتقابل كما قال بانغ دونج، مرة أخرى دار هذا التساؤل في عقلها وشعرت برغبة عارمة في الصراخ والبكاء. أأذهب لمنطقة كوك جا كا وأشفي غليلي بأن أتحرى أخبار بونغ شيك. نعم فليكن، ولو كان حقًّا ما قالوا لأقتلنهم جميعًا وأموت أنا أيضًا! عزمت الأم على ذلك وأخذت تمشي متمايلة يمينًا ويسارًا.

آلت الأمور بهما تلك الليلة لتناما في حظيرة بيت صيني على ضفاف نهر هايلان، ولكنهما لم تحصلا على إذن بهذا إلا بعد أن توسلتا كثيرًا ثم قشرتا ونظفتا ما سيباع غدًا في السوق من السبانخ والبصل الأخضر وغيرهما، وكلما توغل الليل شعرت الأم بآلام بطنها، وفطنت على الفور أن الجنين على وشك النزول فتمنت من أعماق قلبها أن تخلد بونغ يووم إلى النوم، ولكن حتى بونغ يووم التي تنام كثيرًا فمن شدة حنقها هي الأخرى على بانغ دونج وزوجته لم تنم هذه الليلة، وكانت في غمرة من الغضب حول ذلك العمل الذي قدمتاه لهم دون أن تراعيا أحوال جسديهما، وظلت تتمتم:

«ترى هل يونغ آي بخير؟ وهل الطلاب كثيرون في مدرستنا».

ظلت تتمتم وتغمغم هكذا كأنها تتكلم وهي نائمة حتى غلبها النوم.

تنهدت أمها بارتياح حيث ستستغل الوقت الذي تنام فيه بونغ يووم بحيث عقدت عزمها على قتل الجنين إذا خرج ثم تلقيه في نهر هايلان.

ثم ضغطت على بطنها بقوة شديدة، ثم علا صفير الرياح وتساقطت قطرات المطر.

خطر لها أنه لربما يكون هذا خيرًا لها. فمن ذا الذي سيعرف إن أنزلت الجنين وتخلصت منه خلسة في ليلة ماطرة كهذه.

أخذت الأم تربت على جسم بونغ يووم بخفة وبطء ثم قامت بتغطيتها تمامًا حتى رأسها بملابس بالية. فالمطر بدأ يفيض ويسيل للداخل.

هل ابتلت بونغ يووم بالفعل؟ قامت الأم بحمل بنتها بهدوء تام ووضعتها مستلقية في مكان آخر وجلست هي في المكان الذي يسيل فيه المطر. المطر الذي أخذ ينهمر بشدة ويتزايد كما تزايدت آلام جسدها.

وخشية أن توقظ بنتها أخذت تعض على شفتيها بقوة وسعت بكل طاقتها كي لا تصدر آنينا، ولكن صوت الأنين غلبها وخرج من أنفها كلهب حارق، وسالت قطرات المطر على خصلات شعرها ثم تحدرت على جانبي عنقها وحتى شفتيها.

«أمي!».

انتفضت بونغ يووم ثم قامت تتحسس أمها.

«يا إلهي، أنت مبتلة تمامًا!».

ثم استجمعت وعيها كله دفعة واحدة مع ملامستها جسد أمها وأدركت أن المطر ينزل.

«يا إلهي ماذا نفعل؟ المطر يسيل للداخل».

صارت الأم لا تسمع صوت ابنتها كما أنها لم تعد تتحمل حبس أنينها الذي حبسته خشية أن تسمعه ابنتها. فأصدرت أنينها وهي تتلوى متوجعة. كما صكت رأسها بشدة في الجدار ومع عدم شعورها بالفرجة أخذت تجذب بيديها خصلات شعرها بقوة.

حينئذ طفقت بونغ يووم تهز أمها باستمرار وفي النهاية بدأت تبكي.

أما الأم فأصدرت أنينًا متواصلًا بينما تدفع بنتها بكل قوتها، وبعد برهة طويلة سمعتا صوت بكاء طفلة. فاقتربت بونغ يووم من أمها والتصقت بها صائحة.

«طفلة؟».

تحسست الأم مولودتها حتى مسكت عنقها وهمت لتخنقها.

في تلك اللحظة شعرت الأم بحرارة شديدة في عينيها وكأن لهيبًا أزرق يخرج منهما.

وأحست بشحنات من مشاعر الأمومة تسري في كامل جسدها!! واحتبست أنفاسها وشعرت أن قوة يديها التي كانت تحاول خنق طفلتها بها قد خارت تمامًا.

كانت قطرات العرق تتساقط منها كقطرات مطر تنزلق من فوق قرميد خشبي فاستلقت في مكان آخر ثم اختلط صياحها ببكاء.

«أيتها السماء!».



المرضعة

أم بونغ يووم، التي حاولت قتل مولودتها ولكنها لم تمتلك القدرة على ذلك كما تجاوزت رعب الطلق، هي الآن تشعر بجوع شديد. فلربما قدح من حساء المي يوك الدافئ سيعيد الحيوية إلى جسدها. حساء المي يوك! في الأيام الخوالي لطالما طها زوجي حساء المي يوك مع الأرز الأبيض ثم دخل عليّ وبيده وضع لي الطعام في فمي.... استحضرت هذا ثم أغلقت عينيها بقوة. أما أرضية الحظيرة فابتلت بالماء أكثر فأكثر حتى احتضنت رائحة التراب رائحة الدماء النتنة لتنتشر في المكان رائحة كريهة. ما العمل الآن؟ يجب عليّ أن آكل أي شيء يقيم صلبي لكي أقوى على رعاية هاتين الصغيرتين، ولكن ماذا آكل! ربما سأتمكن من استجماع شتاتي لو كان هناك من يأتيني بماء بارد ثم يغليه من أجلي. ألا يوجد هنا ما يؤكل إلا حفنات التراب، أأوقظ بونغ يووم، لتخبر مالك هذا البيت عن حاجتي، لا لا يمكن هذا أبدًا، بأي مولودة أفخر لأطلب ذلك. فما العمل؟ لم يبق الكثير على مطلع الشمس، وحينها أحصل من صاحب هذا البيت على ما يسد جوعي. جال هذا في خاطرها لتحدق ببصرها في باب الحظيرة المليء بالفتحات، ولكن كان الظلام لا يزال دامسًا في الخارج. متى تطلع شمس هذا اليوم؟ أفي هذا البيت دجاج أم لا؟ بينما تفكر هكذا أخذت تصغي بأذنيها، ولكن كل شيء كان هادئًا وكأنه لا وجود للحياة، وأحيانًا يخرج صوت حشرة يبدو أنه من بين حقول الخضراوات لتشعر كأنه لمعان النجوم في ليلة ظلماء.

احتضنت مولودتها حتى ألصقتها بقلبها الذي ينبض داخل صدرها وشعرت أنها يجب أن تحيا بأي طريقة. لذا أخذت تتمتم قائلة لماذا أموت، لا بدَّ من أن أحيا. لأجلكما لا بدَّ من أن أحيا. قبل أن تضع مولودتها بل وقبل أن تتكالب عليها كل تلك الآلام لم تفارق لسانها كلمة سأموت، ومن أعماق قلبها تمنت كثيرًا لو أنها ماتت، ولكن بعودتها من الموت وتجاوزها قمة الخطر، والتي كانت كخط يفصل بين الحياة والموت، أصبحت لا تريد الموت. بل وشعرت بفرح يملأ الحياة. فهذه ليست المرة الأولى التي تواجه فيها الصعاب، ولكن في حياة زوجها لم يخطر الموت في بالها أبدًا، كما لم تكن تريد الموت أيضًا. فهي كانت تجهل كل شيء عن كينونة الموت.

وفي اليوم التالي أخذت الأم تهز بونغ يووم التي كانت في سبات عميق حتي أيقظتها، وهبت بونغ يووم من نومها.

«خذي هذه الأشياء واخرجي لتنظيفها. من الممكن أن تغسليها بغمسها في الماء فقط».

ثم وضعت في يدي بنتها ملابس داخلية ملطخة بالدماء ولفافة من الأقمشة المكورة والملفوفة على بعضها، ولسبب ما كان تصرف الأم مع بنتها صعبًا. كما كانت نظرات البنت غير مريحة. فقلب بونغ يووم ما زال يخفق من تلك المفاجأة، وكل شيء كان يبدو إما غير واضح كأنه حلم، كما ملأ قلبها الصغير أسئلة ومخاوف متشابكة كخيوط عنكبوت لا حصر لها. لذا نهضت بسرعة وخرجت، وبينما تراقب الأم خروج بنتها التي بدت أنها تشعر بالبرد، ورأت ذاتها كامرأة نجسة للغاية.

قبل أن يخفت صوت وقع أقدام بونغ يووم أمعنت النظر في وجه مولودتها، وكلما نظرت للمولودة تراكمت في قلبها كتل من المودة، ولم تطِق عدم إلصاق وجهها بوجه مولودتها. استيقظ أصحاب البيت وبدأت الأصوات تعلو وتعلو منبعثة من داخل البيت، ربما هم يطهون الأطعمة، أسيعطوننا منها قليلًا، أعتقد أنهم سيعطوننا قليلًا، ومرة أخرى تذكرت حساء المي يوك ليبزغ ويخبو أمام عينيها الحساء متصاعدًا منه البخار، ولهذا ازداد جوعها أكثر فأكثر. شعرت أنها إذا ظلت تتضور جوعًا هكذا لعدة ساعات أخرى فلن تقوى على العيش مهما كان تشبثها بالحياة، وعندما دار ذلك في رأسها تملك الخوف منها بغتة. ينبغي لي أن آكل شيئًا، تلفتت وهي تحدق في جميع الاتجاهات، ولكن الحظيرة ما زالت تغرق في الظلام الدامس، ومع ذلك بدت، بشكل خافت في ذلك الطرف البعيد المظلم، جذور البصل الأخضر! صحيح! تذكرت أنه ذلك البصل الذي نقلته زوجة صاحب البيت إلى الحظيرة ورصته مساء الأمس لكي تأخذه للسوق وتبيعه اليوم. إذا أكلت أي شيء فسأتمكن من استجماع شتات وعيي، جعلتها تلك الفكرة ترفع جسدها لأعلى وجذبت بعضًا من جذور البصل الأخضر، ولكنها كلما همت بوضع البصلات التي جذبتها داخل فمها أحست خروج صاحب البيت فأخفتها مرة أخرى، ولكن في النهاية وضعتها داخل فمها، ومع مضغها للطعام شعرت بلسعة في أسنانها لدرجة جعلتها تصطك ببعضها وتجعدت ملامح وجهها ففتحت فمها بشكل واسع وظلت على تلك الحال لبرهة من الزمن.

ومع سيلان لعابها حتى أسفل ذقنها، جمعته بيدها وابتلعته مرة أخرى حيث ظنت أنه، ولو بهذا اللعاب فقط، ستستعيد الحياة مرة أخرى، ووضعت في فمها بصلات مرة أخرى لكن في هذه المرة لم تمضغها واكتفت بتحسسها بطرف لسانها ثم ابتلاعها. لم هي باردة وجامدة هذه البصلة التي تعبر حلقي؟ شعرت أن حلقها يتمزق لدرجة جعلت الدموع تنهمر من عينيها. أيكفي أكل البصل للعيش، بهذه الفكرة شردت ناظرة للسماء التي تظهر لها من فتحات باب الحظيرة، وعندها علا صوت وقع أقدام ثم انفتح باب الحظيرة على مصراعيه.

«أمي، لقد قابلت أم يونغ آي عند مكان الغسل، وهي قادمة الآن!».

وقبل أن تكمل كلامها دخلت أم يونغ آي. فقامت أم بونغ يووم في ذهول وتشبثت بيدها ثم فاضت بالبكاء والعويل. فأم يونغ آي كانت بالنسبة لها كفرد من أفراد أسرتها عندما كانت تعيش في بلدة سانتاوكو، وهذا هو السبب الذي جعل أم يونغ آي تتبع بونغ يووم مباشرة ولكنها ندمت على مجيئها بعد أن هرب ذاك الشعور الفرح برؤيتهما أمام ذلك المظهر البائس الذي بدوا عليه. حتى أنها لم تجد ما تقوله لتأسيتهما.

«يا إلهي، كيف حدث لكما كل ذلك يا أم بونغ يووم؟».

لم تقل أم يونغ آي هذا الكلام إلا بعد وقت طويل، وبعدها توقفت أم بونغ يووم عن البكاء.

«إنها الأقدار تعبث بي، ولا أدري لم عشت ولم لم أمت، ولكن ..... متى جئت هنا؟».

«نحن؟ كلنا جئنا هنا العام الماضي. لقد رحل كل من كان في قريتنا. فر الجميع ليلًا عقب حملات الإبادة. لم يبق مكان لنزرع فيه، وساءت الأحوال مع مجيئنا لهذا المكان».

فرحت أم بونغ يووم كثيرًا، وكالبرق خطر في رأسها أنه يجب ألا تفوت فرصة وجود أم يونغ آي فعزمت على أن تخبرها بكل شيء دون إخفاء.

«يا أم يونغ آي، لقد ولدت هذه الطفلة، ولدتها أمس مساء..... ما العمل؟ أنك تنقذين حياة إنسان إذا آويتني في بيتك عدة أيام. ما العمل حقًّا؟ إن لقاءك بي لهو من حظك العاثر!».

وما إن انتهت من كلامها حتى بكت مرة أخرى. فبلقائها أم يونغ آي، اجتمعت عليها ذكريات زوجها وبونغ شيك أيضًا في آن واحد، وحز في قلبها أن حياة كل الناس تسير على ما يرام بينما ينتقلون من مكان لآخر بصحبة الزوج والابن والابنة هكذا، فلم أغرق وحدي في خضم هذا الحظ العاثر؟

لبرهة من الزمن بدا على أم يونغ آي أنها في ورطة وحيرة من أمرها ثم أطلقت تنهيدة عميقة.

«لك ما تريدين، فلا يوجد حل آخر».

لم تحاول أم يونغ آي أن تسأل لمعرفة المزيد، ثم أجابت وما كادت لتفعل، أما بونغ يووم التي كانت خلفهما فقد تنهدت في ارتياح وكأنها وجدت طريق الخلاص بعد أن كاد قلبها ينفطر من شدة القلق.

«حقًّا شكرًا لك لا أعرف كيف أرد لك هذا الدين».

خرج صوت أم بونغ يووم متحشرجًا ثم وضعت مولودتها على كتف بنتها، بينما تثاقلت خطوات أم يونغ آي والقلق يعصف بقلبها. هل لي أن أصطحب الأم وبنتيها هكذا؟ ألن يوبخني زوجي على هذا؟

وبعد أن وصلن بيت أم يونغ آي انقضت ثلاثة أيام دون صعوبات. أم يونغ آي تغسل ملابس الآخرين مقابل أجر على هذا العمل، لذا لا تكاد الشمس تطلع حتى تهرع إلى مكان الغسل وبالمثل كان يفعل زوجها أيضًا، فقد كان عاملًا في مصلحة الخطوط الحديدية، وبرؤية حال تلك الأسرة الكادحة أصبحت أم بونغ يووم تشعر بصعوبة كبيرة في لقائهما. لذلك قامت مسرعة في إنهاء استراحتها، وعندما قابلت أم يونغ آي العائدة من مكان الغسل مساء ذلك اليوم وقالت لها:

«سأغسل أنا أيضًا ملابس الآخرين، جدي لي عملًا!».

اتسعت حدقتا عيني أم يونغ آي:

«استلقي استلقي، ما الأمر...... لا تثقلي على نفسك!».

وكأنه خطر لأم يونغ آي هاجس جعلها تطرف بعينيها ثم جلست بالقرب منها. بينما صوت ثرثرة يونغ آي وبونغ يووم كان مسموعًا في المطبخ.

«صراحة، إن البيت الذي أعمل فيه لغسل الملابس يبحث عن مرضعة، حتى وإن كان لديها طفل فسيعطونها العمل شريطة أن تكون غزيرة اللبن، وفي المقابل سيقل الأجر..... ما رأيك؟».

عندها أصغت أم بونغ يووم جيدًا.

«حقًّا؟ حتى وإن كان لدي طفل؟».

قالت أم يونغ آي وهي تتلعثم:

«على كل حال اصغي إليّ أولًا، إذا حصلت كل شهر على اثني عشر أو ثلاثة عشر وون يمكنك الحصول على بيت بالإيجار ثم تمكث فيه بونغ يووم مع مولودتك، ولك أن تذهبي لترضعيها أحيانًا أما في الأحيان الأخرى فعليك أن تجلبي لها حليبًا من مكان آخر، ولأنها مولودة صغيرة فلن تستوي مع الكبيرة إن عرفوا هناك بهذا الأمر فسيكون أجرك قليلًا. لذا فلتخدعيهم بقولك إنها كبيرة واحصلي على العمل أولًا. ألن يكون الأجر جيدًا جدًّا إذا حدث ذلك؟».

خفق قلب أم بونغ يووم بشدة، فإنه من حسن حظها أن تجد فرصة للعمل.

«لذا، أيًّا كان ما سيحدث فلتجعليني أحصل على هذا العمل!».

دار في بالها أنه إن كسبت المال هكذا، فسترد ما حصلت من معونة في هذا البيت وبينما تنظر لمولودتها النائمة ألح عليها التساؤل حول أن تقطع إرضاع مولودتها كي ترضع مولود الآخرين.

بعد أيام حصلت أم بونغ يووم، التي استعادت عافيتها قليلًا، على عمل المرضعة وأصبح عليها ترك بنتيها والذهاب. أما بنتاها فقد حصلتا على حجرة صغيرة مستأجرة، وبعدها أصبحت رعاية المولودة على عاتق بونغ يووم، وغالبًا ما كانت المولودة تبكي ولا تنام كلما جن الليل وكأن النار قد اشتعلت، وكلما فعلت ذلك كانت بونغ يووم تحملها على ظهرها وتمشي بها في الحجرة، وقرصت أجفانها جاذبة إياها في محاولة لفتحها حيث كانت تتثاقل من شدة النعاس، وبعد وقت كانت تنظر أحيانًا في الظلام الدامس خارج الحجرة بينما تبكي مع صوت بكاء المولودة.

وعلى هذه الحال مرت سنة ومعها صار بكاء الطفلة أقل كما أصبح يبدو على ملامحها عندما تبول أو تتبرز. لقد رعت بونغ يووم الطفلة جيدًا ولكن عندما كانت صديقتها تأتي للعب معها كانت تضرب الطفلة بلا رحمة إذا ما كثر بكاؤها أو بعثرت ما تلعب به، وإذا بالت الطفلة أو تبرزت على أرض الحجرة دون أن تقول إنها ستفعل كانت بونغ يووم ترفعها عاليًا ثم تطرحها أرضًا وتضربها بكل ما أوتيت من قوة. لم تفعل هذا لشعورها بالغيظ من الطفلة، كل ما في الأمر أن جسد بونغ يووم يصرخ من التعب وأن هذا يزعجها جدًّا، وباستخدام المقطع الأول من اسم بونغ يووم سميت الطفلة بونغ هوي. الآن بونغ هوي لا تشرب حليبًا آخر وتكتفي بلبن الأم أحيانًا مع الطعام، وأخيرًا حان الوقت وصارت أخيرًا تحبو هنا وهناك، وأحيانًا كانت تهب واقفة لتمشي بضع خطوات بطيئة، ولكن على العكس كانت لديها بديهة سريعة جدًّا. لذا وخوفًا من أختها كانت عندما تبول أو تتبرز على أرض الحجرة كانت تبادر بالبكاء حتى قبل أن تضربها أختها، وعندما كانت بونغ يووم تلعب مع صديقتها وتصيح فيها كي تأمرها بأن تنام، كانت بونغ هوي تغمض عينيها وتتعرق لتظهر أنها نائمة حتى وإن كان النعاس لا يغالبها، ومع اكتمال سنتها الأولى كان ما نما من جسمها ليس العظام أو اللحم بل كان الرأس فقط هو الذي نما مع بديهتها. فقد بلغ حجم رأسها مقدار حجم وعاء الكالاباش الصغير، كما أنه كان صلبًا جدًّا. لكن شعرها الذي يلف رأسها كان على حاله كما ولدت به فقد كان أصفر اللون رخوًا. فكان يبدو أن رأسها هو الجزء الوحيد الذي تسري فيه الحياة من بين كل أعضاء جسدها، لكن كان يبدو أيضًا كبيرًا جدًّا وثقيلًا ولا يتواءم مع جسدها الذي يبدو أنه على مشارف الموت ولن يقوى على البقاء حيًّا لمدة طويلة.

عرفت بونغ هوي أمها، لذا كانت كلما جاءت الأم ثم رحلت، بكت كل مرة، وعندها كان يطول بكاء ثلاثتهن وهن يحتضن بعضهن بشدة ثم يفترقن.

وفي أحد أيام الصيف، أصيبت بونغ يووم بالحمى التيفوئيدية فأصبحت لا تقوى على إعداد الطعام وظلت راقدة في مكانها، ولأن كامل جسدها كان ساخنًا كأن النار تسري فيه فلم تتمكن من معرفة الجزء الذي يؤلمها، وبجوارها كانت بونغ هوي تبكي، لذا وضعت لها بونغ يووم ما تبقى من طعام الأمس وهي تتمنى بشدة مجيء أمها. توقف بكاء بونغ هوي وأخذت ملعقة من الطعام ووضعتها في فمها. أما بونغ يووم فأغمضت عينيها بشدة ووضعت ذراعها على جبهتها، ولكنها سمعت ما يشبه وقع الأقدام ففتحت عينيها بغتة فلم تر أمها، بل كان هذا الصوت هو صوت الوعاء الذي تجره بونغ هوي بجوارها. فاشتعل غضب بونغ يووم فجأة، وصاحت وهي تحدق:

«أيتها الحمقاء، عليك أن تأكلي طعامك في مكان واحد، لم تبعثرين الطعام في كل مكان هكذا؟».

حبست بونغ هوي بكاءها الذي على وشك الانفجار، وتململت شفتاها ثم التفتت للباب. إن بونغ هوي تبحث عن أمها بكل وضوح، جال هذا على بال بونغ يووم فورًا، وعندها سيطرت عليها رغبة عارمة في أن تصيح قائلة «أمي». فعضت على شفتيها ونظرت إلى بونغ هوي فترة طويلة وهي على وشك البكاء.

«يا بونغ هوي، أتريدين أن تري أمك؟ أنذهب لها؟».

أطلقت هذه الجملة بسرعة شديدة كأن هناك من أمرها بذلك. لذا ظلت بونغ هوي محدقة وألقت الملعقة من يدها لتسقط مصدرة دويًّا بارتطامها ثم قامت تجري ناحية بونغ يووم التي فكرت أنها ارتكبت حماقة بقولها الذي لا فائدة منه، واحتضنت بونغ هوي بكلتا يديها بشدة وهي نادمة. حينها فقط أدركت أن دموعها الحارقة تنحدر على خديها.

«لماذا لا تأتي أمنا؟ إن اليوم هو موعد مجيئها، أليس كذلك يا بونغ هوي؟».

أما بونغ هوي التي لا تفهم شيئًا:

«نعم!».

فقط أجابت هكذا.

«هيا، كلي طعامك! إن بونغ هوي طيبة القلب».

ربتت بونغ يووم على رأس بونغ هوي ثم أنزلتها، ومرة أخرى التقطت بونغ هوي الملعقة وأخذت تأكل طعامها. أما بونغ يووم فنظرت للسقف في شرود. "لقد ظهرت خيوط العنكبوت كالبخار مرة أخرى، إنها تلك الخيوط التي كنستها أمي عندما جاءت ثم رحلت بعدها. لم تأتِ أمي حتى ظهرت خيوط العنكبوت". لقد درات هذه الأفكار في رأسها مع أن أمها كانت قد جاءت بعدها أكثر من مرة،

ولكن مع ذاكرة البنت غير الواضحة لم تكن لتتحمل لو لم تقل ما قالته. ثم استدارت واستلقت. ربما أمي الآن قد فرغت من تناول إفطارها وحملت ميونغ سو على ظهرها ثم خرجت من الباب. آه، لربما هي الآن قد اجتازت دكان ذاك الرجل الذي من منطقة جورشن، والآن ربما هي الآن أمام باب البيت. خطر كل ذلك على بالها ثم رمقت الباب بنظرة جانبية، ولكنها لم تسمع أي صوت لوقع أقدام، بل فقط كان هناك صوت الملعقة التي تأكل بها بونغ هوي.

ثم هبت من مكانها فجأة وفتحت الباب لأقصى درجة. أما بونغ هوي التي لا تعرف سبب ما تفعله، فظلت محدقة لبرهة طويلة في أختها ثم أخذت تحبو نحوها.

أدركت بونغ يووم أن البخار يخرج من أنفها بغزارة وقوة فانهارت جالسة دون أي قوة.

وفي الخارج كانت زوجة أحد الجيران في البيت الذي بجانب بيتهن تنشر الملابس البيضاء على السياج مصدرة ذلك الصوت الرتيب، وكانت أطراف يدي جارتهن تعبر سياج القش لتتراءى أمام عيني بونغ يووم وكأنها تشبه يدي أمها الحنونتين. فبدا لها كأن أمها، التي تفوح منها رائحة اللبن، تقف خارج هذا السياج. كانت بونغ يووم كلما جلست وسط رائحة اللبن تلك شعرت بالأمان والراحة لسبب ما.

كانت ترغب بشدة ولدرجة لا تطاق أن تدخل بجسدها الساخن في حضن أمها، كما شعرت بجفاف حلقها فبحثت عن الماء. فوجدت ذلك الماء الذي كانت تغمس فيه بونغ هوي الأرز كي تأكله فشربته ولكن لم تشعر بالارتواء بل زاد ضيقها لسبب ما.

في لحظة ما غلب النعاس بونغ يووم التي لم تطق الهدوء والبقاء في مكانها شاعرة بحسرة شديدة، ولكن شيئًا ما أفزعها لتهب مستيقظة من نومها.

علا حولها طنين الذباب الذي كان يغطي وجهها بعدد لا حصر له.

استعادت بونغ يووم وعيها وما لبثت حتى شعرت بالتوتر لعدم وجود بونغ هوي.

أجاءت أمي؟ لذا أخذت بونغ هوي وذهبتا لمكان ما، بينما يدور ذلك في رأسها اعترتها رغبة في العويل والبكاء.

هبت من مرقدها، وهرعت مسرعة للخارج ولكنها لم تر أمها ولا بونغ هوي، وأيضًا كان الحر لافحًا لدرجة جعلت باحة البيت تتحول للون الأحمر، أين هما؟ أهي أمي؟ وهرعت مسرعة خارج السياج، ومع خروجها قابلت المرأة التي تسكن أمامهن.

«ألم تري أمي؟».

«لم أرها .... لماذا، أأنت مريضة؟».

الأحمر الداكن هو اللون الذي تحولت له عينا بونغ يووم التي لم ترد أن تتكلم أكثر بعد سماعها أنها لم تر أمها، وطافت تبحث عن أمها ثم رجعت للحجرة، عندها، تصاعد صوت ما من الباحة الخلفية، هبت من مكانها فجأة ثم هرعت نحوها.

وفي تلك الناحية البعيدة كانت بونغ هوي ملتصقة بجانب جرة من الفخار ورأسها الكبير يتدلى داخلها وفمها على تلك الجرة تتجرع منها ماء الأرز وكأنها ترضع، وأما شعرها فبدا تحت أشعة الشمس أحمر اللون كأنه يحترق.

☆ ☆ ☆ ☆

قلب الأم

أخيرا، ماتت بونغ يووم بعد ثلاثة أيام، واضطرت الأم لترك عمل الإرضاع وبهذا خرجت من بيت ميونغ سو، وبونغ هوي أيضًا، بعد أن وعكها المرض بشدة، ماتت. أما صاحب الحجرة الذي شهد موت الجميع هكذا أمرها بالخروج من البيت وأمعن في إزعاجها. لم تتماسك الأم أمام كل هذا فتشاجرت مع زوجة صاحب الحجرة وعلت صيحاتها. أبدت لهما نيتها بأنها لن تتحرك إلا إن أخرجاها بالقوة، وظلت مستلقية في الحجرة طوال اليوم.

الأم نفسها تعجبت من مصدر تلك الشجاعة التي نزلت عليها الآن، برغم أنها أمس لم يسعها أن تدفع الإيجار وكان مجرد لقائها بصاحب الحجرة أمرًا غير سهل على الإطلاق.

والآن طال وقت شجارها مع زوجة صاحب الحجرة مرة أخرى، وتملكت من الأم رغبة في إحضار سكين ثم الالتصاق في الزوجة لو كانت قد عنفتها أكثر من ذلك قليلًا، ولكن ربما فطنت الزوجة لذلك فتراجعت في هدوء.

«أوف! تخرجون من؟ لن أخرج، مهما فعلتم!».

وبينما تتمتم أخذت تنظر ناحية الباب شزرًا، وشعرت بنقصان شيء ما بسبب تراجع الزوجة وعدم الاستمرار في الشجار. فقد اشتد غضبها وبدت وكأن عليها حفر الأرض بعمق يتعدى عشرات الباعات لكي تتمكن من تحمل ذلك.

ولما هدأ غضبها تذكرت بوضوح مرة أخرى من كانت قد نسيتهم لوقت قليل، بونغ يووم وبونغ هوي، وميونغ سو، وكلما فكرت في ذلك، أحست كأنها قتلت بنتيها عمدًا، وفكرت أنها لو كانت بجوارهما فلعل تلك الأمراض ما أصابتهما، وحتى لو كانتا مرضتا فلم تكن حالتهما لتصل إلى الموت. ثم صكت صدرها وبدأت في العويل.

«أأربي أبناء الآخرين وأقتل ابنتي..... ما عساي أن أفعل بعد موتهما. فلتأخذاني معكما!».

ولكن صوتها كان متحشرجًا والتعب قد أرهقها تمامًا لذلك خرج صوتها بضع مرات ثم خفت حتى انحبس تمامًا، وشعرت كأن حلقها يتمزق من شدة الألم. ثم سعلت ونظرت شزرًا ناحية الباب وفجأة تذكرت ما حدث قبل أيام.

كان المطر يهطل بشدة في تلك الليلة. ذهبت الأم بعد أن رأت بونغ يووم وهي تتوعك من المرض، وبهذا لم تتمكن من النوم رغم محاولتها. لذا خرجت من بيت ميونغ سو في ظلمة الليل ولا عليها إلا ملابسها الداخلية. فمنذ أن جاءت لإرضاع الطفل دأبت على الاستلقاء كل ليلة دون أن تخلع ملابسها انتظارًا لنوم

أسرة ميونغ سو، عندها كانت تذهب لبونغ هوي وترضعها، ولكن أم ميونغ سو لاحظت ذلك فركزت انتباهها في مراقبة المرضعة ولذلك من بعدها لم تجرؤ على النوم بملابسها وأحيانًا كانت هناك تلك الأوقات التي كلما سنحت لها فرصة فيها، كانت تجري وعليها فقط ملابسها الداخلية. أما تلك الليلة فقد تأكدت أم ميونغ سو بما لا لبس فيه أنها قد ذهبت لحجرتها في النهار، ولذا لم تستطع أن تتفوه بأنها ستذهب هناك مرة أخرى فاستلقت حتى جاءت اللحظة الموائمة بنوم الجميع ففتحت الباب وخرجت دون إصدار أي صوت. كان الظلام دامسًا لدرجة أنها إذا أخرجت يدها لم تكد تراها، وكانت هبات الريح المحملة بقطر المطر الكبير تضرب كتفيها العاريتين بلا هوادة، ومع البرق الذي كاد يخطف بصرها والرعد الذي يزمجر كأنه سيشق السماء، شعرت الأم وكأن الأرض تميد بها.

ولكن الآن لا يوجد ما يخيفها ولو قليلًا. فقط كان قلقها على بنتيها يومض في كل لحظة كالبرق الذي ينير تلك السماء أمامها الآن.

وصلت حتى باب حجرتها وهي تلهث ولكنها فوجئت بوجود شيء أبيض اللون أمام خارج الباب، ولكنها على الفور أدركت أنها بونغ يووم لذلك جرت ناحيتها واحتضنتها.

«أيتها الحمقاء، أتريدين الموت لتستلقي هنا؟».

كان جسد بنتها المبتل من المطر كأنه نار حارقة. حينها شعرت أن الأرض تميد بها مرة أخرى، وكانت ترتجف بشدة كأن هناك من يكشط كبدها. حينها سيطرت عليها فكرة ترك عملها كمرضعة وترك كل شيء لدرجة أعيت رأسها. لكنهما ما لبثتا أن دخلتا الغرفة واستلقيتا بجوار بعضهما حتى اشتعل القلق في رأسها مرة أخرى. ربما قد استيقظ ميونغ سو ويهز الآن صوت بكائه أرجاء ذلك البيت الواسع وربما استيقظ والداه في عبوس ليوبخاها بسوء ما فعلته الآن. بل وأكثر من ذلك فلربما ينزل عليها التعنيف والأمر بترك عملها فورًا. لا لقد نزل بالفعل، راودتها كل هذه الهواجس وهي تنقل يديها بالتناوب لتتحسس جسدي بنتيها حتى تخدرت يداها، وأخيرًا قامت، وكانت تحسب أن بونغ هوي قد نامت ولكنها صحت وقبضت على ثدي أمها وهي تصيح «أمي» وبدأت تبكي. أما بونغ يووم التي لم تجرؤ أن تطلب من أمها عدم الرحيل فبكت في أنين وهي ممسكة بأطراف تنورة أمها.

«لقليل من الوقت فقط ....».

هذا الصوت المرتعش، كأنها تسمعه الآن أيضًا. لا إنها لن تنسى هذا الصوت ما دامت حية.

قامت في حجرتها فجأة وأخذت تدور فيها لتطرد كل هذه الأفكار من رأسها، ولكن كل هذا كان دون جدوى أمام تلك الذكرى المؤلمة التي تخطر في بالها كالشرر الذي يتطاير من النار، وتراءى أمام عينيها وجه ميونغ سو مما جعل الأفكار تتصارع في رأسها. لقد كان وجهًا ضاحكًا لميونغ سو..

«ترى أيبكي هذا الولد.......».

دون وعي منها خرجت هذه التمتمات ولكي تجبر نفسها على تغيير ما يدور في خلدها، أخذت تتفوه بكلمات على عكس ما تشعر به:

«آه أيها الأحمق، لقد ماتت بونغ هوي وماتت بونغ يووم بسببك. فلتغرب عني!».

ولكن وجه ميونغ سو اقترب أكثر فأكثر. كأنه يمكنها الآن أن تلمسه بيديها، وعلى الفور عضت على ظهر يدها. إن شوقها لرؤية ميونغ سو يؤلمها كما تؤلمها ظهر يدها الآن. ظلت تقدم رجلًا وتؤخر الأخرى ثم تمالكت نفسها وغلبت ذاك التردد بأن تذكرت ما وقع لها أمس في نفس هذا الوقت تقريبًا عندما ذهبت حتى بيت ميونغ سو ولكن أمه رفضت فعادت لحجرتها، عندها نكست رأسها دون أي قوة. "آه علي، يا لي من غبية حمقاء قتلت بنتيها وتشتاق لابن الغرباء، لِم أعيش ولِم لا أموت؟ لِم أعيش؟ لِم أنا حية؟ لو كنت مت تلك اللحظة لما عانيت كل هذه المعاناة" تصارعت تلك الهواجس في رأسها وهي تسترجع ما دار في بالها حين رأت زوجها ميتًا: "أأموت وراء زوجي" وأنزلت قرارها وحكمها بأن كل ما غرقت فيه من أقدار حزينة لم يكن إلا بموت زوجها، وتزايدت كراهيتها وعداوتها حتى بلغت مبلغ السماء تجاه قتلة زوجها، تجاه الحزب الشيوعي. فعند التفكير مليًّا في الأمر، فحتى بانغ دونج لم يكن ليجرؤ على فعلته تلك إلا لعدم وجود زوجها. لذا فكل شيء كان من ذاك الحزب الشيوعي، وعندها تذكرت بونغ شيك الذي يقال إنه مات على يد الحرس جراء انتمائه لذاك الحزب وتراءى لها بوضوح ذلك الوجه، وجه بانغ دونج.

«أيقول هذا الأبله إن ابني من الشيوعيين... ما هذا الجنون، كان من الأجدر أن يطردني فقط إن أراد إخراجي وطردي، يا له من قذر..... أحي أنت أم ميت يا بونغ شيك؟».

بندائها اسم بونغ شيك بزغ أمامها أمل كأنه طرف خيط يقودها. هلم بنا إلى منطقة كوك جا كا، لنبحث عن بونغ شيك، وحينما عقدت ذلك العزم مع نفسها على ذلك جال في رأسها فجأة أنها يجب أن ترى ميونغ سو قبل رحيلها. ميونغ سو يا ميونغ سو! تصاعد هذا النداء في جوفها دون أن يخرج من بين شفتيها، وبلا وعي قبضت على حلمة ثديها بقوة. أهو يبكي الآن مناديًا عليّ؟ .... وفجأة هرعت ثم توقفت فجأة أيضًا كأن وجه أم ميونغ سو يقطع الطريق أمامها بلا رحمة.

«أيتها الحمقاء، لم لا تجعلينني أرى ميونغ سو، إنك ولدته فقط، لكن ألست أنا التي ربيته حتى الآن. عليك اللعنة، إنه هذا الطفل سيتبعني أنا، أسيتبعك أنت؟ إنه لي أنا».

وعندها حدقت بعينين مستديرتين، ولكن في اللحظة التالية طأطأت رأسها في خنوع حين أدركت أنه لا يمكنها لمس شعرة واحدة من رأس ميونغ سو بحرية.

وفي ليلة صامتة، كاد ذلك الصمت يطبق على صدرها، الذي يحترق لوعة، ويقتلها، وفجأة فاحت رائحة تفرق ذاك الهواء المرتكم تداعب أنفها. إنها رائحة بطاطا مغلية في الماء، وفجأة شعرت أنه موسم البطاطا، وأن أسرة أحدهم تغليها هكذا بتلك الرائحة اللذيذة، استدارت بينما تدور تلك الأفكار في رأسها، يا ليتني آكل الآن واحدة من البطاطا الساخنة، وخرجت من بين شفتيها ضحكة مريرة. فهي ترى نفسها مسكينة لدرجة لا تعقل كونها تريد أن تأكل شيئًا ما وتكمل حياتها. استندت إلى الحائط وأخذت تنظر شاردة للسماء. في السماء كان القمر يطفو عاليًا والنجوم تلمع هنا وهناك. نجوم لامعة، إحداها تشبه عين بونغ يووم وأخرى تشبه عين بونغ هوي، وهناك تشبه عين ميونغ سو الصافية. عينا ميونغ سو اللتان كانتا تنظران لها بينما هو يمسك ثديها، عينا ميونغ سو، هاتان العينان، ثم مرة أخرى تمتمت...

«آه، فلتغرب عني».

وطفقت تفكر في عيون بونغ هوي وبونغ يووم، تلك العيون التي انتفخت متورمة من بكائهما شوقًا لأمهما. آه، كيف لي أن أرى تلك العيون مرة أخرى في تلك الدنيا، وخطر لها الذهاب للمقابر العامة، ومع مشيها بخطوات واسعة متسارعة، مرقت بجوارها تلك القبور التي تتراص في هدوء تحت القمر بعدد لا حصر له، وفجأة سرت قشعريرة باردة على ظهرها مع شعورها بكراهية شديدة، بزغ أمامها فجأة وجه ميونغ سو شبيهًا بالقمر فتوقفت مفكرة أن ما يدعى موتًا لهو حقًّا أمر مفزع، ثم نظرت لتلك الناحية البعيدة وهي خائرة القوى، عندها خرجت تعدو في سرعة شديدة كإنسان أدهشه شيء ما.

كان نور القمر المفروش كورود ثلجية بين ظلال حافة قرميد البيت الذي أمامها وحافة قرميد هذا البيت يشبه تمامًا ذاك الغطاء الناعم الأبيض الذي يستلقي فوقه الآن ميونغ سو مناديًا عليها دون أن ينام، كان يبدو أن نور القمر يلطم وجهها بلا رحمة، فوقفت تطأ نور القمر وهي ممسكة خديها بكلتا يديها، وأخذت ترقب ذاك القمر الذي يستدير دون أي اعوجاج وهي تحارب بشق الأنفس لكتم صيحة تكاد تنصب من فمها منادية «يا ميونغ سو!»

ودون أن تشعر انهمرت دموعها، ففكرت أن تلك المودة ما هي إلا شيء غبي!

وانحنت لترى ظلها، وفجأة ألح عليها تساؤل، أعليها أن تحيا، أم أنه عليها أن تموت، فلو كان الأمر بيدها لاختارت الموت فورًا ونسيان كل شيء، فلا يوجد ما هو أسعد من ذلك، بعد ذلك شعرت بثقل جسدها الهائل وبدا لها أن الموت فقط هو الذي يمكنه حل كل ذلك، ولكن للموت، كيف أموت؟ أبشرب الصودا الكاوية..... لا لا لن يمكنني فعلها. كيف لي فعل هذا وكل أعضاء الجسم تفسد وتهلك ثم تتدلى... أم بالغرق في المياه... ولكن تجلت أمامها دوامات أمواج المياه الزرقاء بشكل مخيف، فانتفضت وتشبثت بالجدار. لأحيا حتى يأتي يوم مماتي. لذا أرى بونغ شيك، وأرى إلى أين سيؤول أمر أولئك الأوغاد، أولئك الذين يسمون الحزب الشيوعي. أسيبقون على ما يرام برغم وجود عدالة السماء؟ لنرى هؤلاء الأوغاد، وارتجف فكها غضبًا، وفي تلك اللحظة وصل إلى مسامعها صوت وقع أقدام، فخطر لها أن زوجة صاحب الحجرة قد رجعت لتعاود الشجار فالتفتت ناحية الغرفة التي في عقر الدار، ومن الناحية الأخرى....

«لم تقفين هنا؟».

التفتت لها بحركة خاطفة وتهللت أساريرها برؤية أم يونغ آي. فعلى ما يبدو أنها جاءت تحمل أخبار ميونغ سو.

«هل رأيت ميونغ سو؟».

«ميونغ سو، لقد رأيته قليلًا في وقت النهار».

«أيبكي؟ إنه سيبكي كثيرًا!».

وأما أم يونغ آي فأخذت تحدق فيها بنظرة ثابتة وهي تتذكر كيف كان ميونغ سو قبل قليل يبكي ويصرخ كالمجنون، وأدركت على الفور كم ترغب أم بونغ يووم أيضًا في رؤية ميونغ سو.

«هل ذهبت أمس؟ إلى.. ميونغ سو!».

«تلك الحمقاء، عليها اللعنة، إنها لم تدعني أراه، تلك الرعناء!».

ترددت أم يونغ آي للحظات ثم قالت:

«لا تذهبي، لقد عرفت أم ميونغ سو بطريقة ما عن موت بونغ يووم وبونغ هوي بالحمى التيفوئيدية واستشاطت غاضبة، لا تذهبي هناك أبدًا!».

وعندها شعرت أم بونغ يووم بحنق شديد تجاه أم يونغ آي أيضًا.

«ما هذا الهراء، أي حمى تيفوئيدية تلك التي تتكلمين عنها، إنهما غير موجودتين الآن فلم هذا الجنون الحقير، فلننه هذا الأمر. أسأموت إن لم أره؟ لن أذهب،

لن أذهب أبدًا.. أوف!».

تصاعد الغضب صارخًا داخل جوفها كأن أم ميونغ سو تقف أمامها. أما أم يونغ آي التي كانت ترقب تعابيرها فقالت لها:

«كفانا كلام عن صغائر الأمور، أجهزت عشاءك وتناولته؟».

فاحت رائحة الرنجة الكريهة من أم يونغ آي التي لفت أطراف تنورتها وجلست القرفصاء، وأدركت أم بونغ يووم أن حالها الآن أصعب بسبب شعورها بالجوع، فخطر لها أن تطلب من أم يونغ آي لتأكل أي شيء ولو طعامًا باردًا.

«إنك جائعة اليوم أيضًا. على الإنسان أن يأكل ما دام حيًّا. لقد كنت أعرف ذلك وكنت سأحضر معي بعض الأطعمة.... انتظريني، سأحضر بعض الأطعمة حالًا».

وعلى الفور قامت أم يونغ آي وخرجت، وشعرت أم بونغ يووم بالجوع أكثر وكأن نصفها السفلي ينفصل عن جسدها، فتحاملت حتى دخلت الغرفة وهوت على الأرض. ثم جاءت أم يونغ آي.

«لتأخذي قليلًا من هذا، ولتستجمعي شتات وعيك، علينا أن نجد طريقًا للحياة مرة أخرى. صحيح، لك عندي تجارة يخرج لك منها ربح وفير».

لبرهة طويلة كانت أم بونغ يووم لا تعي ما حولها وظلت تأكل، لكن في تلك اللحظة نظرت إلى أم يونغ آي التي أكملت:

«الربح منها وفير حقًّا. أعني، إن زوجي خرج ذاهبًا لهذا العمل أيضًا».

«أي عمل هذا؟».

استدعت كلمة ربح انتباه أم بونغ يووم فأنصتت جيدًا، وأكملت أم يونغ آي بصوت يقارب الهمس:

«إنها تجارة الملح».

عندها حدقت أم بونغ يووم بعينين مستديرتين:

«وماذا أفعل إن قبض عليّ؟».

«يجب أن تتحلي بسرعة البديهة لإنجاز هذا الأمر، أهناك ما هو سهل لكسب النقود؟».

ومع علمها بهذا، عندما قالت أم يونغ آي هذا الكلام زاد قلقها على سلامة زوجها الذي قد رحل لمكان بعيد، وغرقتا كلتاهما في الصمت.

«جربي القيام به أنت أيضًا بعدما تتمالكين قوتك، إن كيلة الملح في جوسون تباع بأقل من ثلاثين جونًا وإذا وصلت هنا تباع بوونين وثلاثين جونًا! فتخيلي كم الربح الذي سيبقى!».

كلامها هذا جعل القوة تسري في جنبات جسد أم بونغ يووم فجأة ولكنها ما لبثت تذكرت أنها فقدت بنتيها. إن الآخرين يحملون الملح على ظهورهم لتحصيل قوت من يعولون، أما هي فلمن؟ ومع إدراكها الإجابة بأنها ستفعل ذلك لتقتات وحدها فقط شعرت بالخنوع والوحدة بشدة، ولكن حتى وإن كانت وحدها فإن لم تبذل ما بوسعها لكسب قوتها فمن ذا الذي يعطيها ولو ملعقة واحدة من ماء الأرز دون مقابل؟ إن الجوع مرعب ومخيف أكثر من الموت، بل أكثر من أي شيء آخر، والأصعب على الإطلاق هو تحمله. فحتى قبل تلك اللحظات كانت مشتتة الوعي منهكة القوى أما الآن، أفلم يتغير كل شيء بمجرد وضعها ملعقة الطعام في فمها. أولم يتحول ذات الهواء الذي بدا كأنه يطبق على صدرها إلى هواء خفيف؟ إذا حييت فلا مفر، يجب أن آكل...... وانتفض جسدها فجأة إثر تذكرها يوم أن نامت في حظيرة ذاك الصيني وولادتها يونغ هوي ومضغها جذور البصل، ثم انتفض جسدها بشدة. إنها لأول مرة تدرك أنه على الرغم من أن روحها تأذت في بيت ميونغ سو فإنها لم تشعر هناك بالجوع مطلقًا، ومرة أخرى تخيل لها أنها ترى وجه ميونغ سو، ألن تضطر أم ميونغ سو أن تطلب منها المجيء مرة أخرى إثر بكائه الدائم الذي لا يطاق؟ ومع هذه الأفكار وضعت الملعقة.

«لم وضعتها، كلي أكثر. لا تشغلي بالك بأي شيء سوى أن يكون جسدك قويًّا».

«قويًّا...... الأطماع الإنسانية، مات زوجي، ابني، بنتاي.......».

خرج صوتها في رعشة مع احتقان حلقها، وأخذت تنظر ناحية الباب وهي خائرة القوى. أما أم يونغ آي فانفلتت منها تنهيدة دون أن تدرك عندما كانت تنظر لوجه أم بونغ يووم الذي ابيض لونه بدرجة مخيفة تحت نور القمر.

خطر لها أن السماء فعلًا لا تهتم، وأخذت تنظر في نور القمر.

«لذا ما العمل؟ إذا استمرت الحياة ولم تتمكني من الموت، فعليك أن تكوني قوية. لا تفكري أبدًا في أمر قد انقضى».

اقتربت أم يونغ آي وهي تقول هذا الكلام وجاءت إلى جوارها وعدلت شعراتها الشعثاء.

حينها تذكرت ميونغ سو عندما كان يرضع من ثديها وهو يجذب شعراتها بيديه الممتلئتين فخفق قلبها مرة أخرى بعد أن كان قد هدأ لحد كبير، وفجأة وبلا وعي أمسكت بيد أم يونغ آي بقوة.

«أيكون ميونغ سو نائمًا الآن؟».

ومع نهاية تلك الجملة دفنت رأسها بين ركبتي أم يونغ آي وبكت مصدرة أنينًا، وفي لحظة ما انسالت الدموع من عيني أم يونغ آي هي الأخرى.

«لا تبكي، لا تفكري في طفلهم التافه، أيفيد هذا؟».

«آراه مرة واحدة و..... بعدها لن أراه، هيا نذهب، نعم يا أم يونغ آي».

فهي إذا ذهبت وحدها فسيتم رفضها، لذا تريد اصطحاب أم يونغ آي، لحاجة في نفسها.

وقعت أم يونغ آي في حيرة من أمرها بعد أن تذكرت فجأة أم ميونغ سو التي أطلقت قبل وقت وابلًا من الشتائم التي لا نجرؤ على التفوه بها.

وظلت هادئة، ثم هبت أم بونغ يووم فجأة وأمسكت بيد أم يونغ آي وسحبتها.

«يا أم بونغ يووم، لتهدئي قليلًا. فلنذهب غدًا».

وأمسكتها بإحكام ثم أجلستها، وما زال نور القمر يتدفق على وجهيهما.



التهريب

خريف دولة الشمال موحش وكئيب جدًّا، وفي إحدى الليالي بينما صوت الريح، الذي يشبه الرعد، يهز ذاك الفضاء الواسع وضعت أم بونغ يووم أربع كيلات من الملح في غرارة وحملتها على رأسها ثم تبعت المجموعة. كانت تلك المجموعة مكونة من ستة أشخاص لم يكن بينهم امرأة إلا أم بونغ يووم، وكان يسير أمامهم دليل قضى من عمره عشر سنوات وهو يعمل في التهريب، لذا كان يجد طريقه بسهولة بالغة حتى وإن أغمض عينيه، ولهذا كانوا يطيعون الدليل طاعة عمياء، ومهما طالت الفترة التي يحملون فيها الملح أو قصرت، فطوالها كان يجب عليهم أن يكون كل منهم كالأخرس، وبدلًا من ذلك اعتادوا على أن يعبروا عن كل ما في نفوسهم بالإشارة.

ساروا وراء بعضهم في خط مستقيم، وما زالت الريح تهب، وتوخى كل منهم الحذر حول ما يفعله الذي أمامه واعتادوا على المشي كاتمين أصوات أنفاسهم، فصوت الريح من حولهم يشبه صوت وقع أقدام تلح عليهم أن يفعلوا شيئًا ما بسرعة أو بطريقة أخرى كان يبدو لهم كصوت شرطي يصيح بصوت عال، ومع كل خطوة كانوا يفكرون في ما سمعوه عن مقتل أحد ما إثر تعرضه لطلق ناري في مكان ما قريب من هنا وهو يحمل الملح على ظهره، ولذا صبغ ذلك القلق صدورهم بسواد جاثم كهذا الظلام الدامس.

كان الجميع يلبس ملابس ثقيلة محشوة بالقطن إلا أم بونغ يووم فقد لبست ملابس خفيفة ذات طبقتين، وفي قدميها حذاء مطاطي تبرز منه أصابعها، ولكنها لم تشعر بالبرد، حيث إنها لا تتحمل ثقل غرارة الملح التي تحملها فوق رأسها، وشعرت تارة كأن هناك من يخرق هامة رأسها بكتلة حديدية دون رحمة وتارة أخرى شعرت بوخز لا ينقطع كأنها تحمل على رأسها جمرة من نار. لقد حاولت في بادئ الأمر أن تحمل في تلك الغرارة ست كيلات من الملح كمن معها من الرجال ولكنها أمام إصرارهم الشديد على منعها حملت أربعًا فقط وهي تشعر بالحسرة، ومع ذلك شعرت بآلام رأسها هكذا حتى قبل أن تقطع مسافة عشرة ليات فقط وهي تحمل تلك الغرارة على رأسها. كان وجهها عابسًا للغاية ولتخفيف تلك الآلام أخذت ترفع الغرارة بيديها قليلًا، ولكن لم يملك هذا لها نفعًا بل أحست بألم شديد وكأن ذراعيها ينخلعان من جسدها. في قرارة نفسها، هي ترغب في نثر هذا الملح بكل ما أوتيت من قوة، والموت في مكانها هذا فورًا، ولكن هذه كانت فكرة خاوية، فقدماها ما زالتا تتبعان خطوات الرجال. لو كنت قد حملتها على ظهري كهؤلاء الرجال.. أيمكنني حملها على ظهري ولو الآن؟ ولكن لفعل هذا أحتاج حبلًا... حبل.... ألن نستريح؟ فلنسترح.

لوهلة كادت أن تتفوه بهذه الكلمات التي احتبست في حلقها، ويداها ما زالتا ترفعان الغرارة في محاولات لتخفيف الآلام.

قطرات العرق تتساقط من جبهتها وظهرها كقطرات مطر تنزلق من فوق قرميد خشبي وتتدفق حتى أسفل قدميها. لم هذا الحذاء المطاطي زلق هكذا؟ وكلما اختلت ولو مثقال حبة من خردل كادت أن تسقط. لذا فقد استجمعت كل تركيزها ولكن بالفعل كان صوت وقع أقدام من أمامها قد تباعد كثيرًا. تحاملت على نفسها بكل ما لديها من قوة لتتبعهم حتى ضاقت أنفاسها وصرخت جنباتها ألمًا مع كل حركة. ليتني حملت كيلتين فقط....

أأسكب منه الآن؟ ما العمل؟.... تحسست غرارة الملح ولكنها لم تجرؤ أبدًا على ذلك.

وفي لحظة ما داعب مسامعهم صوت خرير مياه النهر، ومع سماعهم ذاك الصوت الخافت شعروا كأن صدورهم المنقبضة تنفرج؛ لأنه دار في خلدهم أنهم سيصلون لضفاف النهر حيث سيضعون أحمالهم وسيأخذون قسطًا ولو قليلًا من الراحة وسيشربون من ماء النهر حتى يرتوون، ومع ذلك ألن يوجد من يتربص بهم من ضفة النهر الأخرى؟ تصاعد القلق في نفوسهم كتصاعد صوت خرير مياه ذلك النهر. أما في حالة أم بونغ يووم فقد تحول ذلك الخرير المنعش لآلام بدأت تنغز طيلة أذنيها بطرف إبرة حادة، ولو استمرت في المشي على هذه الحالة ولو قليلًا فستخور كل قواها وتموت، وفي تلك اللحظة وقف الرجل الذي أمامها فجأة، لذا وقفت هي الأخرى في مكانها، وبعد هبوب الرياح المخيفة، علا أزيز الحشرات متداخلًا مع خرير المياه، وبدا لها أن من أمامها قد جلس مع سماعها صوتًا يدل على ذلك. لذا ارتمت أرضًا وهي تضع غرارة الملح، ثم ضغطت على رأسها بكلتا يديها، وأجبرت نفسها على إغلاق عينيها بعد أن كانت تبقيهما مفتوحتين عنوة، ولكنها لم تغفل ولو للحظة واحدة بل ظلت متيقظة طوال الوقت وهي تفكر هل حقًّا جلس جميع الرجال الذين أمامي أم أنا التي ارتميت وحدي هكذا.

ومع سكون آلامها أخذت ترتجف بشدة وضمت ركبتيها إلى صدرها لكن عندها غمزها الرجل الذي أمامها بإصبعه هبت مسرعة، ثم استعادت كامل تركيزها مع سماعها صوت الرجال وهم يخلعون ملابسهم، ترددت قليلًا ثم حسمت أمرها وخلعت ملابسها بحركة خاطفة وطوتها بإحكام ثم لفتها حول عنقها. حينها تحسست عنقها الذي لا يمكنها تحريكه من شدة الألم، ليدور في رأسها ذلك التساؤل، هل سيظل هذا العنق صامدًا في موضعه هذا حتى نبلغ مدينة لونغ جينغ؟ ثم حملت على رأسها تلك الغرارة التي رفعها لها أحد الرجال ثم استكملت مسيرتها.

ء ء ء ء

يبدو أن الرجال الذين أمامها قد دخلوا النهر، فقد بدأ يعلو صوت أقدامهم وهي تصارع أمواج مياه النهر، أما هي فقد داعبت رمال ضفة النهر قدميها قبل أن تدخل هي الأخرى ذلك النهر، سرت في جسدها قشعريرة مع شعورها بالبرد وشعرت بخوف مجهول وأخذت تنظر للأسفل إلى تلك الأمواج، ومع ظلمات تلك الأمواج علت أصوات تلاطمها وكذلك أصوات تجمعها وتتالي اصطدام تلك الأمواج بجسدها، وفي كل مرة كانت أطراف شعر رأسها تنتصب مع رجفة باردة تسري في جسدها، ثم خرجت منها شهقة قوية.

وكلما ازداد عمق المياه، أصبحت تلك الصخور المتناثرة تحت أقدامهم أكثر سمكًا وأصبح المشي فوقها أكثر صعوبة، هذا لأن هذه الصخور كانت مدفونة بين طبقة رخوة من الطين الزلق، لذا ستسقط إن حدث أي اختلال ولو كان طفيفًا، ولأن قدميها تنزلق، فلم تستطع استجماع شتات وعيها، انزلقت قدماها والتوتا أكثر من مرة، وكان مؤكدًا أن المياه غمرت صدرها. في تلك اللحظة وطأت صخرة فانزلقت قدماها وعندها شعرت أن النار تشتعل في كل جنباتها، وأحكمت قبضتها على غرارة الملح وحاولت تثبيت جسدها الذي كان على وشك السقوط، لكنها لم تتمكن من جمع قدميها اللتين تباعدتا، كما حاولت أن تصرخ طالبة أن ينقذها هؤلاء الرجال الذين أمامها ولكن لسبب ما ضاقت أنفاسها واختنقت، ولم يخرج صوتها مع كل محاولتها المستميتة للصراخ، وحتى ذلك الصوت الخافت الذي خرج منها تلاشى ودفن وسط الأمواج والرياح، فعلت كل ما بوسعها ووقفت مستجمعة كل قوتها في قدمها اليسرى، وكادت الأرض أن تميد بها عندما دارت في رأسها أفكار عن الموت والخوف، فقط فكرة أن الملح سيذوب ويضيع إن ابتل بالماء انتشرت وسرت من قدميها اللتين تنزلقان وتنزلان لأسفل حتى أطراف الشعر الذي يعلو رأسها.

أما الرجال الذين سبقوها لم يلاحظوا عدم متابعة أم بونغ يووم لهم إلا عندما شارفوا على الوصول لضفة النهر، عندها بدءوا البحث عنها في الجوار ولم يملكوا إلا أن يعودوا أدراجهم من ذلك الطريق الذي قادهم منه الدليل.

ذلك الدليل الذي عثر عليها بسهولة، وأدرك على الفور أنه لو كان قد تأخر قليلًا لكانت الأم قد ماتت، فأمسك بها وأقامها ثم أنزل غرارة الملح وحملها عنها على كتفه، وعندما أحس بتلك الصخرة التي يطؤها بقدميه أدرك على الفور أنها هي السبب في كون الأم هكذا. كما دار في رأسه أنه قد قادهم من طريق يبعد كثيرًا عن تلك الصخرة فما الذي حدث، بعدها أحكم قبضته على يد الأم ثم مشيا.

تشتت تركيز الأم لبرهة، ولكنها استجمعته مرة أخرى بينما يمشيان هكذا، وشعرت بدوار شديد لدرجة أنها وجدت صعوبة في مراعاتها لجسدها وحفظه، كما أن ذلك اللعاب يزداد في فمها وشعرت بغمة وكأنها ستتقيأ، ولم تتمكن من

تحريك عنقها بحرية مع فكرة أن غرارة الملح ما زالت فوق رأسها، أما باقي الرجال الذين اعتصر القلق قلوبهم فهبوا واقفين معًا دفعة واحدة، عندما وصل الاثنان إلى ضفة النهر، وكل واحدٍ منهم أخذ يتحسسهما حتى أن الدموع انهمرت من عيني أحدهم، فمع أن كلًّا منهم لديه من الهموم ما يكفيه إلا أنهم شعروا جميعًا أن تلك المرأة مسكينة بدرجة تفوقهم جميعًا، وفي نفس اللحظة تنهدوا بعمق وشغل تفكيرهم زوجاتهم وأبناؤهم وحتى آباؤهم وأمهاتهم الذين ينتظرونهم دون أن يعرفوا للنوم طريقًا أو للطعام مذاقًا.

مع مرور تلك اللحظة اعتصر القلق قلوبهم مرة أخرى ومن شدة الخوف لم يجرؤوا على الجلوس ولو للحظة واحدة. استمروا في المشي ولكن هذه المرة جعلوا الأم تسير وسطهم. بدا لها أنهم يمشون في قناة منخفضة لتخطيط زراعي، فقد وخزت بقايا جز نبات الدخن أو الذرة البيضاء قدميها فتألمت بدرجة لا تحتمل، وكادت أن تخلع حذاءها المطاطي وتلقي به أكثر من مرة ولكنها لم تستطع القيام بذلك. فهي دائمًا تفكر وتقرر ولكنها لم تنفذ قرارها على الوجه الذي يرضيها، فقط ترددت دائمًا، وبعد وقت انقطع الحذاء المطاطي وعلقت قدماها في جذور نبات الدخن أو الذرة البيضاء وسال عرقها اللزج لمدة طويلة، ومع كل هذا لم تقدر على التخلص من حذائها.

عندما وصلوا قمة أحد الجبال علا صوت الصياح:

«من أنتم، ارفعوا أيديكم ولا تتحركوا بتاتًا وإلا سنطلق النيران مع أي حركة».

ومع هذا الصياح سطع نور أزرق جعلهم غير قادرين على فتح أعينهم، وأضاء وجوههم. شعروا أن هذا النور كنصل سكين حاد وكطلقات نيران موجهة تجاههم، رفعوا أيديهم عاليًا بلا وعي وبسرعة شديدة، وهكذا فقد سلب منا الملح!! دار ذلك الهاجس في خاطرهم جميعًا، ومع ذلك اليقين الذي سرى في نفوسهم تمنوا من أعماق قلوبهم لسبب ما أن يكون هؤلاء من الحزب الشيوعي أو من جماعة (ما جوك). فلو أن هؤلاء تابعون لأي فريق منهما فلن يسلب الملح منهم لو قاموا بالتوسل لهم..

بداية من الدليل ودون أي استثناء، فتش هؤلاء كل أفراد المجموعة ثم نفخوا في نيرانهم وأطفؤوها وأخذوا يتمتمون وقتًا طويلًا، وسرت قشعريرة في جسد أفراد المجموعة عندما أطفأ هؤلاء نيرانهم. هل استل هؤلاء سكاكينهم؟ أم وجهوا ناحيتنا فوهات بنادقهم؟ مع هذه الأفكار شعروا بحسرة شديدة لا يمكنهم تحملها.

وشق ذلك الظلام صوت يشبه صلصلة الحديد.

«أيها الجمع، أتعرفون لم أنتم تحملون هذا الملح ولا يمكنكم النوم براحة وهدوء وسط هذا الليل؟».

علا وهبط ذلك الصوت المجلجل مع هبات الريح، آه.. هذا رائع! إنهم الشيوعيون! لن يسلب الملح منا، وسيطرت عليهم جميعًا فكرة واحدة فقط.. ما الذي علينا قوله متوسلين لهم. ما زال صوت هؤلاء الشيوعيين يتدفق على مسامعهم، وكلما طال وقت الحديث، تمنى أفراد المجموعة لو أنهى هؤلاء خطابهم بسرعة وأطلقوا سراحهم. بالإضافة لذلك، تسلل لقلوبهم القلق بأن قوات الحرس يختبئون تحت هذا الجبل أو في الناحية الأخرى منه، فما الذي سيحدث لو سمعوا هذا الصخب بينما يستمعون لخطاب الشيوعيين هذا، وبينما تستمع أم بونغ يووم لذلك الخطاب، تذكرت فجأة ذلك الخطاب الذي سمعته من المدرس عندما ذهبت للمدرسة مع بونغ يووم عندما كانت في بلدة سانتاوكو. إن هذا الصوت يشبه صوت ذاك المدرس تمامًا. التفتت في سرعة خاطفة ودققت النظر ناحية هؤلاء الشيوعيين، ولكن الظلام الدامس منعها من الرؤية ليصل لها فقط هذا الصوت الذي يخرج ليشق أعماقه، وللحظة قصيرة دار في خلدها أنه لربما يكون بونغ شيك بين هؤلاء الشيوعيين، ولكنها أنكرت ذلك على الفور. إن بونغ شيك ليس كباقي الأشخاص العاديين، إنه ولد ذكي، ولن يكون وسط هذا النوع من الناس. لقد استقر ذلك في قلبها، ومع تلك الفكرة هدأ قليلًا ذلك القلق حول بونغ شيك، لسبب ما بدا لها خطاب هؤلاء كأنه حيلة لسلب الملح منهم، وسرى في عقلها ذلك التساؤل. أسيقتلوننا بعد أن ينتهوا من ذلك الخطاب؟

وبعدما انتهى الخطاب وسط هذا الظلام الحالك، ودعوهم متمنين لهم أن يرحلوا بسلام إلى مكان بعيد. لذا أكملوا سيرهم وسط ذهول شديد. أيتظاهرون بإطلاق سراحنا ثم يطلقون النيران على ظهورنا؟ دفعتهم تلك الفكرة إلى الهرولة مبتعدين، ولم يهدأ بالهم أو يشعروا بالأمان إلى أن عبروا الجبل ووصلوا مشارف حقل، حينها اتضح للأم أن الشيوعيين -على الأقل- أناس أسوياء في ما يتعلق بـ[....] ([2]) ثم تنهدت بعمق شديد.

كلما هدأ قلب الأم بعد أن كانت على عجلة من أمرها، فكرت "إنهم هم الشيوعيون بلا أدنى شك!" وضحكت ضحكة ساخرة من نفسها بعدما وقفت أمامهم دون أن تحرك ساكنًا، كما فكرت أنها هي الأكثر بلاهة في هذا العالم.

إنهم أعدائي الذين قتلوا زوجي وتسببوا في وقوعي في ذلك المأزق العصيب، ولكني وقفت أمامهم أرتعد ولم أنبس ببنت شفة! أنا التي ظللت ألعنهم وأشعر بالحنق والكراهية تجاههم دائمًا، لكني أمامهم لم أجرؤ حتى على التفكير في ذلك! ويحي أنا، أنا الآن أحمل هذا الملح على ظهري وتتحرك قدماي فقط لأحيا. لم تستوعب ما حدث مما جعل شفتيها تنفرج عن تلك الضحكات الساخرة.

كلما زادت بلاهة الإنسان زاد تمسكه بالحياة، وفي الوقت نفسه بقي لديها ذلك التساؤل، لم تركنا هؤلاء الشيوعيون نرحل دون أن يسلبوا الملح منا؟ إنهم يقتلون الناس وكأنهم يقتلون بعض الذباب، كما أنهم بارعون في نهب الأموال والأرز...... وعند تلك اللحظة أخيرًا بدأت تصب عليهم اللعنات.

إنهم يقضون النهار مختبئين في الجبال أو وسط الغابات، ويتحركون ليلًا فقط حتى وصلوا مدينة لونغ جينغ أخيرًا بعد ثلاثة أيام، ووصلت الأم حجرتها ولكنها احتارت طويلًا عما هو أفضل مكان يمكنها أن تخفي الملح فيه، وأخيرًا وضعته في صندوق بال ثم وضعته في أحد جنبات الحجرة وارتمت أرضًا في مكانها، وفي الغرفة كانت ريح خفيفة وأرضية الغرفة كانت باردة كأنها كتلة من الثلج، وبينما تحسست رأسها وأصابع قدميها، بكت مع شعورها بغصة في حلقها. فبرجوعها للحجرة مرة أخرى، تراءت لها وجوه كل من بونغ يووم وبونغ هوي وحتى ميونغ سو، وأحست أنهم لو كانوا بجوارها الآن، لكان حالها أفضل كثيرًا، وبعد بكائها لبرهة طويلة فكرت عما حدث في تلك الأيام الثلاثة ودون وعي انتفض جسدها. حقًّا يجب أن يكون لدى الإنسان متسع حتى تخرج تلك الدموع من عينيه. ثم تأوهت وخرج منها أنين وهي تستلقي، ولكن فجأة تذكرت أنها يجب عليها أن تحاول

تصريف ذلك الملح الذي عندها. ربما قد صرف جميع الباقين بضاعتهم، ثم رمقت ناحية الباب بنظرة جانبية وهي تتساءل، ألن يأتي أحد ما لشراء الملح؟ ولكن ينبغي أولًا أن يعرفوا أنني قد حملت الملح فوق رأسي أو على ظهري، أأقوم الآن وأوقظ من في البيت الذي أمامي والبيت الذي خلفي ثم أخبرهم؟ ولكن ما العمل إن قابلت شرطيًّا فعلًا؟ إثر تلك الفكرة حاولت القيام متمهلة، ولكنها تأوهت وانفلتت منها صيحة بسبب احتكاك عظام مفاصل ركبتيها، ومر وقت طويل حتى خف ألمها واقتربت من الصندوق.

استرقت السمع جيدًا للحظات وتوخت الحذر لما يجري في الخارج ثم وضعت يدها وتحسست غرارة الملح بهدوء شديد. بكم سأبيع هذا؟ بثمانية وونات وثمانين جونًا! عندها سأسدد إيجار البيت المتراكم كله... وبعدها ربما سأعيش شهرًا؟ يجب أن أبدأ أي تجارة برأس المال هذا، ولكن أي تجارة.......؟ وبلا وعي وضعت في فمها حصوة ملح كانت تحت يدها، وفي لحظة ما سال اللعاب في فمها والآن تذكرت أنها تريد ولو ملعقة من الأرز، وفجأة تحركت شهيتها رغبة الأكل، فرضبت ريقها مرتين تقريبًا وفي رأسها دار أن الملح هو ما يمنح الطعم لأي نوع من الطعام، فمهما كان الأكل جيدًا، فسيكون بلا طعم لو كان من بدون ملح. صحيح! هكذا فكرت ثم تذكرت فجأة زوجها وابنها وبنتيها، لو كانوا هنا لقمنا بتعبئة الصلصة أو الشطة ولأعددنا الأطباق الجانبية وكم ستكون لذيذة لو أكلناها معًا! ولكن بعد أن حل اليوم وأنا فاقدة إياهم، أفيمكنني أن أفكر في

تعبئة الصلصة أو الشطة! آكل فقط لأني لا أستطيع أن أموت، وتنهدت تنهيدة عميقة، إن حياتي بلا أي طعم مثل ذلك الطعام الذي لا يوجد فيه ملح. لا، بل حياة مؤلمة، هكذا مؤلمة...... دارت في رأسها تلك الأفكار فتحسسته برقة. كم اعوج رأسها وتورم!

يؤلمها لدرجة أنها لا يمكن أن تلمسه، ثم ألصقت رأسها بالصندوق وهي تقول ... يا بونغ شيك هل أنت حي أم ميت؟ ابحث عن أمك ...إنني لا أتحمل الحياة أكثر!

وفي لحظة أخرى هبت واقفة بسبب شيء باغتها، لقد بزغ نور الصباح بالفعل، وكان هناك رجلان أولئك الذين يلبسون تلك البذلات الغربية وقد أخرجا غرارة الملح وينظران لها شزرًا. أدركت على الفور أنهما من الشرطة وارتعد جسدها رعبًا.

«أرينا شهادة إثبات الملح».

فالملح المرخص دائمًا ما كتبت له شهادة إثبات، احتبست أنفاسها تمامًا وأظلمت الدنيا أمام عينيها تمامًا، وعلى الفور شعرت بتحفز كل أعصاب جسدها في لحظة تشابه تلك اللحظات التي بذلت فيها كل ما بوسعها كي لا تسقط منها غرارة الملح في نهر دومان، حينها جاء الدليل وأمسك يدها وأنقذها ولكن..... يا ويحي! ترى من سيجرؤ الآن على إزاحة صاحبي السيوف والمسدسات وإنقاذي منهما؟

«أيتها الحمقاء، إنك من تلك الفتيات اللاتي يتجولن لبيع الملح المهرب. هيا قفي فورًا!».

لاحظ الشرطيان وعرفا مباشرة أن هذا ليس ملحًا مرخصًا، لذلك صاحا بهذه الطريقة ثم أمسك أحدهما يدها وجرها بعنف، وفي لحظة قصيرة جدًّا استشاط جسد الأم وجال في رأسها ذلك الخطاب [....] لهؤلاء الذين سمعتهم بلا وعي شاعرة بالغيظ عندما كانت على قمة الجبل ليل الأمس.

«إنكم رفقاؤنا! ولن نتمكن من مواجهة أعدائنا، أولئك الأغنياء كثيري الأموال، إلا بتوحد قلوبنا وقلوبكم دائمًا»

ذلك الخطاب الذي استمر يجلجل وسط الظلام الدامس! وانفطر قلبها، لقد كان هؤلاء هم الذين لم يسلبوا الملح، ربما لو كان هؤلاء بجوارها الآن لساعدوها وواجهوا الأمر معها، لا بالتأكيد كانوا سيفعلون، و[....].

«إن كثيري الأموال هم من سلبوا ملحي!».

خرج منها ذلك الصياح في لحظة ما دون إدراك منها، كل ذلك الضجر والاستياء اللذين لطالما كتمتهما وتحملتهما، اندلعا كاللهب الحارق، وهبت واقفة في

تحفز.

(تمت بحمد الله)

.


متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

فهرس المحتويات:

الملاحظات

[1←]

بانغ دونج: رجل صيني لا يتحدث الكورية بطريقة صحيحة، لذلك يتحدث بهذه اللغة الركيكة طوال النص. (المترجم)

[←2] جزء محذوف من النص الأصلي بواسطة الاستعمار الياباني. (المترجم)